الوحى

The inspiration

نيرين محمود

تكلمت (ليل) مع والدتها بشأن هذا الموضوع الذي لا تريد التحدث فيه، فقد كانت خجلة من الكلام معها فيه... ولكنها لم تستطع ان تتكلم وتقول ما تريده، فهى تعلم انها لن تستطيع ان تتكلم... ولكنها حاولت رغما عنها، فحاولت ثانية، ولكنها لم تستطع أن تكون غيرها، فهذا يبرز عليها... فهى كانت لا تستطيع ان تتكلم ولكنها كانت ترد بإيماءات وجهها... وأمها تنحني لها... لتكلمها... لم تستطع أن تقول رأيها خوفا من أن تضايق... فهى تريد رضاها... حتى ولو على حساب رضاها... ذهبت جريا إلى غرفتها هى وأخاها الأصغر الذي يدعى (تائج)... جلست على سريرها المفروش باللون الوردي مثل غرفتها، وحولها العابها... الدب الكبير باللون الوردي... والرسومات على الحائط تدل على انها غرفة أطفال فقط، كالغرف التي يصنعونها الأزواج الحديثين في الزواج... فقد كانت (ليل) طفلة تبلغ من العمر ست سنوات، وأخاها الصغير الذي كان يبلغ من العمر عشرة أشهر... نائم على ظهره على السرير الآخر يلعب بيده ورجله في هدوء... وكانت الأم خارجا في الصالة مشغولة بشيء ما... نظرت (ليل) إلى أخيها... وهي تفكر كيف تتركه أمها هكذا بلا أي اهتمام، ذهبت إليه تحمله، فهو ثقيل عليها... وهي تعلم وتشعر بذلك... ولكنها لا تستطيع تركه... فهى تشعر بالشفقة اتجاهه... بكل براءة تحاول تحمله... لا تستطع... فتوقفه

على رجله... وهى جالسة مربعة على سريره... وتحاول سنده... فيميل عليها دون تحكم من أي طرف منهما... تحاول ترفعه لا تستطيع... تحاول الوقوف به... ثقيل عليها... يبدأ الطفل في البكاء... تخاف (ليل) كثيرا... وتنظر ناحية الباب... تحاول التحكم حتى يكف عن البكاء... "شششش" تحاول مسكه وإسكاته... حتى جاءت والدتها فورا... أخذته منها وهى تدل-له بتعبيرات وجهها... استغربت (ليل) ردة الفعل هذه فأحسستها ببرود أمها اتجاه طفلها الشديد الذي يبكي... شعرت انها لن تكون هادئة هكذا لو رأت احدا من أهلها يبكي أو حزين... أدارات (ليل) نفسها... وجلست على سريرها مرة أخرى وهى تنظر إلى أمها وتفكر... وأمها بالجانب الاخر، ترضع (تائج)... وفجأة أخذت تلعب بالقطط اللعبة وكأن شيئا لم يكن وكأنه لم يكن هناك اهتمام ولا أي شيء من هذا، فقد نست الموضوع تماما وكأنه لم يكن.

جاء والدها من الخارج حمل الأم بذراعه كعادته وهو يلف بها بمرح، وهي بابتسامة فرح تتفاعل معه، وتضحك... أنزلها بعد أن قبلها على وجنتيها... وهى لا تزال مبتسمة، فهى تحب هذا منه جدا... وتبقى الابتسامة مشرقة على وجهها طول الوقت... سمعت (ليل) أباها... جرت عليه وهى تقول "بابا، بابا" بغناء كما تفعل دائما،

فرحة... وهى ترفع يدها للأعلى، لحملها كما يفعل دائما... وفور رؤيتها ابتسم تلقائيا، وحملها تلقائيا أيضا، "اه يا كتكوتة... ماذا؟ ما كل هذا الجمال" وهو يحرك ذقنها في حب، وهى تضحك، واحتضنته... أنزلها، وهو يضع يده على كتف زوجته "كيف (تائج)؟".

"بخير جدا الحمد لله، ويحبك كثيرا مثلنا"، وهو مبتسم، و (ليل) تنظر إليه في سعادة، ممسكة بشيء لا تعلم ماهيته تلعب به بين أصابع يدها الإثنين... ناظرة إلى والدها في سعاد تكاد تقفز منها، او هى بالفعل تقفز منها... مسكة بهذه الورقة السلوفان كأنها ورقة حلوى كانت قد أكلتها وبقت في يدها من فور رؤيتها لأبيها... وهو ذاهب إلى الغرفة ليرى ابنه الذي يوحشه كثيرا... "لقد وحشني كثيرا"

بدلال "هو فقط من أوحشك"

ضاحكا وقد ضمها من ناحية كتفها "وأنتم أيضا"، وهو يضع اليد الأخرى على (ليل) بالكاد يستطيع لمسها ولكنه ضمها ايضا ذاهبا إلى (تائج) وفور رؤيته اخذ يلاعبه بوجهه ويصدر له اصواتا تدل_له، وتلاطفه، وهو يحرك اصابعه عليه بطريقة مرحة، ويحمله "اه .. يا .. توتو" ويقبله .. ويلاعبه بوجهه وبيده .. الطفل مبتسم يحرك يده .. فقد كان طفلا جميلا ، مرحا، ليس بكاء، يتفاعل سريعا مع المرح والحب، ويبتسم كثيرا ..

أخذه أبوه وخرج وهو يحمله بين ذراعيه، يلاعبه بوجهه... والطفل مبتسم يحرك رأسه... والأم تنظر مبتسمة وهي تخرج معه من الغرفة ذاهبة إلى المطبخ لتكمل الغداء بعد العمل... ذهبت معهم (ليل) مبتسمة وهي تنظر لأعلى لوالدها... فهي تحب عندما يجلس أبوها على الأريكة وهو يحمل (تائج) ويلاعبه، فهي تحب أن تلاعبه معه... وظل هذا البيت في هذا الهدوء طوال الوقت.

ظل هذا البيت في هذه الحالة من الجمال والأدب والحب، وظل هذا الشعور، ما عدا شعور (ليل) بأنها لا تحب غرفتها، فهي أحست بأن غرفتها صغيرة وبجب أن يكون لها غرفة لها لوحدها مخصوص، فهي لم تعد صغيرة، وأخوها أيضا لم يعد رضيعا، فهي متضايقة طوال أنها لم تعش في غرفة بمفردها، وطوال ما هي في هذه الغرفة تجدها مكشرة، مخنوقة، ومكبوتة... لا تريد أن تفعل شيئا في حياتها، مهمومة وكل من يراها أو يتعامل معها يشعر بذلك، ويجدها فظة في بعض الوقت، بل ومملة لا تريد أن تحيا.

ذهبت إلى مدرستها وكانت تعامل جميع الطلاب كما يجب ان يكون منها في اعتقادها... فقد كانت تمشي على رأي الآخرين لتكتسبهم، وتكتسب ودهم، فهى كانت تظن أن هذا هو الصواب، كما يجب ان يكون من أبواها عليها. ظلت هكذا وكان الطلاب يعاملونها بانها غير موجودة، وينظرون اليها بانها نكرة، لا شيء... حتى عندما تريد أن تلعب... تستأذنهم بأنهم هل يريدونها تلعب معهم ام لا؟... ينظرون إليها نظرتهم... واحيانا يقولون لها لا... كاليوم الذي كانوا فيه يلعبون الورق... وكن مجتمعات في طاولة إحداهن يلعبن... اثنتين على الكرسي الخشب للطاولة، وآخرتين على طرف الطاولة، وعلى الطاولة اللاصقة لها، وآخرتين على الطرف الآخر والكرسي المجاور... وهى طلبت "تريدونني ان العب معكن؟"، ظنت انهن سيوافقن، لسماحهن لها باللعب في حصة الألعاب معهن، فقالت صاحبة الورق بكل جراءة "لا"... فتفاجأت فسكتت وظلت تتفرج عليهن وهن يلعبن، ثم شعرت بالملل بسبب ضيقها وذهبت... كانت قد دخلت المدرسة عليهن وهن يلعبن... ابتسمت كانت تحب أحيانا دخول المدرسين لمنع الملل، الذي يحيط بها في الاوقات الفارغة، وعلى الرغم من عدم حبها للمدرسين، فهى لا تستطيع ان تناقش او تقول او تطلب ما تريده، كأبويها، مع انها تشعر دائما ان ما تريده شيء طبيعي ويجب ان تطلبه او تقوله، لماذا تخاف،

لماذا لا تستطيع التجرُّؤ... دائما ما كانت توبخ نفسها على هذا... وكانت تشعر بالملل كثيرا، خصوصا إذا كان من يدرس لها لا تحبه... وكان يظهر عليها... وكان المدرسين يعلمون بطباع كل من في الفصل خصوصا اذا كان يدرس لهم اكثر من مرة، واكثر من سنة... فقد كن لا يعاملنها مثل زملائها... ويغضبون عليها... فقد كانوا يشعرون حقا بانعدام شخصيتها، التي تغريهم ليصبحوا عليها ما يريدونه من قوة الشخصية التي يحبوا أن تكون عندهم أمام التلاميذ والطلاب... كانت أيضا تشعر بذلك... ولكن هي لا تريد أن تكون سيئة لهم، فهي تريد أن يحبوها، فتعاملهم كما تريد أن تعامل، أو ظنا منها أن الآخرين يحبون من يحبون رأيهم.

ظلت هكذا، ورغم محاولتها لتكون نفسها إلا أنها لم تستطع، ولم تجرؤ... ذهبت إلى بيتها تمارس شخصيتها بقدر الإمكان إلا أن سماع كلام أهلها يوقفها، ما يزعجها كثيرا... تذهب جالسة مربعة اليدين في غضب وجهها مكشر وغاضب ناظر إلى أسفل تراها أمها هكذا "لازم تسمعين كلامنا، البنات المؤدبات، وأفضل البنات والأولاد في الدنيا هم من يسمعون كلام آبائهم بكل

احترام"، لم تزل التكشيرة من على وجهها، ولم تستطع المناقشة، ولا حتى الكلام... أكلت من بسكوت الشكولاتة الذي أمامها فهي تحبه كثيرا، بل أخذته بكامل يديها، تحتضن الصحن الشفاف الغويط المليء بالبسكوت الذي تحبه وبدأت تأكل فيه بنهم، وشعرت أنها محظوظة لحبها هذا البسكوت الذي تحبه أمها أيضا، وشعرت أنها لو كانت تحب شيئا لكان صعب عليها الإتيان به، وأشعرها ذلك بالبكاء وهي تأكل أكثر، وأسرع... فتركته وذهبت، تربع يديها مرة اخرى في غضب على السرير المقابل لأخيها (تائج)، الذي نظر لها في استفهام لثواني، ثم لم يبال، نائم ورافع رجله اليمين على الشمال يلعب على التابلت خاصته، فهو حالا راجع من المدرسة وهو لا يحبها أصلا، ولا يريد أي احد ان يزعجه ثانية.

مر الوقت وجلست على العشاء ويبدو عليها كرهها للحياة، كان الكل مبسوط ويتكلم، والأم تضحك مع الأب، والولد يأخذ بالشوكة وينظر مرة أخرى إلى التابلت غير مبال، وهي حاولت إخراج نفسها مما هي فيه تشاهد الفيلم الأبيض والأسود، القديم الذي أمامها، وشعرت بجمال جو الربيع مع نسماته الخفيفة عليهم من البلكونة ذات الستائر البيضاء الشفافة، ما أخرجها من مزاجها السيئ وجعلها تشعر بجمال الحياة من حولها، مبتسمة وهي وتأكل وتشاهد التلفاز... وبعد أن انتهت حملت

الأطباق ، ووضعتهم في غسالة الأطباق، فقط لتستمتع بالنسمات الداخلة من البلكونة التي كانت أيضا أمام المطبخ، انتهت وبدأت تذاكر دروسها، فهي تقول إن لم يكن لديها أصدقاء فلا بد أن تكون من الأفضل، لا بل الأفضل، فلطالما كانت وحيدة ويجب أن تكون الوحيدة الأفضل، أفضل من الوحيدة الأفضل، ليعلموا في هذه اللحظة أنها أفضل منهم جميعا... وهى تنظر لأعلى، وقد سرحت في أفكارها، وضمة يدها اليمين إلى صدرها، وقد كانت ممسكة بالقلم الرصاص بطريقة غريبة بين منتصف أصابعها... نظر لها اخاها بلا اهتمام ورجع إلى التابلت مرة اخرى، وقد كان امامه الكتاب مفتوحا... تحمست كثيرا لهذا الطموح الذي شعرت بعد بدئها بكل حماسها فورا في تكملة حل مسألة الرياضة إلى أنه اكبر من قدرتها، ولكنها تمنت حقا ان تكون كذلك، تمنت بقوة عدم ثقتها في تحقيقه... ولكن حلت المسألة وتركت باقي المسائل بسبب اليأس الذي ضربها بسبب امنيتها هذه... وقد جلست على السرير بجانبها الأيمين معطية ظهرها إلى الباب وإلى اخيها الذي كان يجلس على الارض وأمامه الكتاب يرى ما به وينظر إلى التابلت... ماسكة الهاتف المحمول تجلس قليلا على الانترنت فهى تحب أن تخرج نفسها من اي مزاج سيء، وافضل ما تفعله لنفسها في اللحظات السلبية هذه هي فتحها لأي شيء تشاهده على الإنترنت لتذهب ما بها.

ذهبت (ليل) إلى المدرسة في يوم عادي، ممل آخر، تشعر بالضجر فور دخولها، رمت حقيبتها على المقعد الأول الذي كانت تجلس فيه، منتظرة دخول المدرس الذي تكرهه، لكن لا فارق، فهي تكره هذه الحياة عامة، وعلى الرغم من ذلك، فإن الحصص تنهي الوقت أسرع، فهي تشعر بالملل بشكل سيء في الأوقات الفارغة بين الحصص... منتظرة دخول المدرس الذي يليه... في آخر اليوم... باقي ثلاث حصص أو حصتين، لا يهم... جالسة في مكانها ناظرة إلى الأرض لا تفعل شيئا، فجأة ودون سابق إنذار نظرت خلفها اتجاه مقاعد الأولاد، رأت في لحظتها، أو عينيها وقعت، بدون علمها ماذا سترى، ولكن عينيها وقعت على زميلها (ثائب) الذي كان واقف لحظتها في وسط زملائه، وهم يحوطونه كأنه رئيسهم، وهو يتعامل بكل تواضع، يقف وابتسامة الود ترتسم على وجهه بشكل ساحر، أول مرة ترى ابتسامته ساحرة هكذا، ظلت تنظر إليه فقط، ثم نظرت سريعا أمامها مرة أخرى حينما أدركت شعورها، "ما هذا؟!!!"، وعلامات التعجب تملأ وجهها، والاستغراب مما حدث للتو، لا تعلم حقا ما هذا، ولا كيف، هي لم

تأخذ قرار النظر، بل هي لم تنظر بإرادتها، "لا، لا"، لم ترد أن تقولها لنفسها، ولكنها أيقنت تماما شعورها اتجاه (ثائب)، "أنه كان أمامي البارحة، بل كان أمامي منذ دقائق!!"، وأيقنت أنه هذا هو الحب، ولكن لماذا هي؟!!، فهي لا تريد أن تحب أحدا، لا تريد أن تقع في هذا، قبل أن يصل بها التفكير إلى الحزن والضيق، فجأة أيضا نغزتها زميلتها في الفصل، وجريت، في آخر الفصل، لتجري وراءها (ليل)، فهمت (ليل) الحركة، فلم ترد أن تيأسها وبخفة دم قامت وبادلتها اللعب، وأخذت تجري ورائها، وهي غير مركزة غير مركزة بالكامل معها بالطبع، وهما كانتا تجريان حول الفصل، فكانت تمر به وهو واقف في الممر، فكانت تصطدم فيه قاصدة، ولكنه كان لا يتكلم، وظلتا تجريان حول بعضهما، حتى انتهى وقت الاستراحة الذي هما به، وقاطعهما دخول المدرس الآخر، وكانت تختلس النظر وهي لا تشعر، لا إراديا من وقت لآخر، المشكلة أنها كانت تخاف من أن أحد في الفصل يعلم شعورها ناحيته، فأصبحت، وفي نفس الوقت يجب أن يبادلها هو الشعور، لكن لا يبدو عليه ذلك... وهي تنظر إليه من وقت لآخر، وتحاول أن تداري في وعيها... حتى في المرواح كانت تنظر إليه وعندما تنتبه تشغل بالها بسيارة والدها أو بأخيها التي أصبحت تمل منه وهي منتظرة والدهما في هذا اليوم، ساندة ظهرها من عند كتفها بالصدرية الحمراء الصوفية التي كانت

ترتديها على القميص الأبيض على حائط سور المدرسة، وفاردة جزعها بساقها أمامها، بالكولون الأبيض وعليه تنورة قصيرة عند الفخذ كاروهات أحمر في رمادي في أبيض، والحذاء الأسود العادي بلاصق في المنتصف، وعاقدة ذراعيها على صدرها، ووجهها لأسفل ناظرة أمامها بعبس .

ذهبت إلى المدرسة اليوم التالي، فرحة، مشتتة ذهنيا، غير مركزة غير فقط في رؤية (ثائب)، الابتسامة على وجهها فقط حين تكون معه في بالها، لا تبقى حتى تزل، إذا زال شعورها الذي لا يزول، تحبه حقا؟!،"لا ما هذا؟!، لا أحبه... بالطبع، انا فقط احب رؤيته، اشتاق إليه؟، بالتأكيد لا، انا فقط احب رؤيته، بالتأكيد هذا هو الذي يحدث"... ذهبت رأته تلقائيا، ثم وضعت حقيبتها على المقعد وجلست، لا تنتبه مع الشرح، ولا مع أي شيء، تشعر بحالة تحيطها، تشعر أن الجو ربيع، "مهلا نحن في الربيع"، لكن الجو جميل حقا. انتهى المدرس من الحصة، تفكر، بل شعورها هو الذي يفكر، تريد ان يحبها حقا،" يحبني؟! أريده أن يأخذ باله مني... ويحبني، حسنا "، لكن كيف هذا، زاد تعاملها بمنطقها التي تتعامل به، الطاعة، الكل يحب البنت المطيعة، الجميلة،

"جميلة؟! هل أنا جميلة حقا لهذه الدرجة التي لا أحتاج فيها لمجهود لجعل احد يراني لهذه الدرجة، فالجمال لا يحتاجون إلى أي شيء، الحلوين حلوين لأي شيء، أقصد أي شيء حلو لهم، ومعهم، أنا لست بهذا الجمال للأسف، أنا فقط، لا أعلم، حسنا، أعتقد أني جيدة، لا أعلم أيضا، حسنا، لا يهم"، وهي تنظر له بيأس... دخل المدرس الآخر... جلست لا يهم ما يقوله، فهي لا تحبهم أصلا... كان اليوم بكامله تفكر في كيف تلفت انتباهه، وقد تغيرت في هذا اليوم تلقائيا... بانها اصبحت أكثر انشغالا عن الباقيين، لا تهتم لهم، ولا تتكلم كثيرا، ولكنها اصبحت اكثر انغماسا في شخصيتها التابعة، غير المستقلة، على حسب تفكيرها، فقد أداها لذلك دون أن تشعر، ظنا منها ان هذا سيجعله يحبها، بالتأكيد فالرجل يحب البنت المطيعة، وبالتأكيد يحب البنت المؤدبة، الحيية، فزاد في ذلك ضعف أكثر في شخصيتها... ذهبت إلى المنزل أكثر غضبا... فقد انفك عنها كل هذا... واصبحت أكثر قوة، بل أكثر شدة، وأكثر عبوسا.

سارحة، شاردة، مبتسمة، ليس مع أحد، مع تخيلاتها، أو بمعنى أصح مع أمنياتها اللاتي تتمناها في كل وقت

وحين، وانها تحاول أن تتكلم معه، لا ليس هذا، ليست هي من تحاول أن تتكلم معه، بل صدفة جمعتهم في مكان ما، وحدث موقف ما أداه لأن يكلمها، أو تتخيل أنها تأخذ المواصلات ولا تركب سيارة والدها، وتقابله ولا يجد مكان إلا بجانبها، لا يهم أن يتكلما، المهم أنها رأته أو تقابلا، أو تراه وهو يقف مع إحدى زميلاتها وهي تسلم عليها، وتعرض عليها أن توصلها، "لا، لا، من الممكن أن لا نتحدث هكذا... ممم..."، فتكمل تخيلا، فيجب أن تعرفها على والدها أولا، وهى تسلم عليه، ولأن (ثائب) ذوق سيسلم على والدها بالطبع، ثم تعرض عليها التوصيل، ثم ترفض، فيعرض ابوها على (ثائب)، فيوافق وهو في قمة احراجه، يُفتح بينهما نقطة تواصل، وبالتأكيد لن ينسى هذا الجميل، "ولماذا يقف مع احدى زميلاتي؟! لا، لا". هكذا دماغها ليست بها، وأصبحت تشعر بالملل، والضجر أسرع مما كانت... تحب الذهاب إلى المدرسة لأنه يذهب إليها كل يوم، "كل يوم يا (ثائب) لماذا؟!... لكن هذا أفضل فأين من الممكن أراك".

تقف بجانب أي بنت تكلمه، "لماذا تكلمه هذه؟!"، أصبحت تريد أن تكون ظاهرة أكثر، فكانت تتواجد في أي تجمع هو به، لكن ليس بعد، بالتأكيد شعر بوجودها،

هذا أفضل، لكن لا يكفي، هي تشعر بأنه يراها (غليانه)، لكن أليس هذا ما يحبه الجميع، تشعر أنها يجب أن تكون أكثر فيه، أصبحت أكثر غلبا فعلا، أصبح يلاحظها، ولكن لا تعجبه، على الرغم من أنه يراها طيبة وجيدة، ولكن لا تعجبه.

ظلت تفكر به، لا تعلم، لا تعلم، ما الذي... لا تعلم حقا... تذهب مع أمها لأختها الجديدة (باتيل)، لا تعلم عنها شيئا، لا يهم، لا يهم، ما يمر به الآخرون، المهم ما تمر به هي، قالت أمها "سلمي يا (ليل)"، وهي تغمزها بكوعها، لا تعلم ما بها هذه الأيام، ضاحكة لتداري إحراجها أمام الناس "ما لك ليلتي هكذا؟!"، فضحك الجميع، وابتسمت (ليل)، ودخلا وهي تحمل أمها (تائج)، مستغربة (ليل) أمها ولكن أي مشاعر مقارنة بمشاعرها اتجاه (ثائب) باهتة، لا تبدو، لذلك كان استغرابها دخيلا على مشاعرها فمحقتها، غير مهتمة، تسلم، وتبتسم دون شعور، شاردة غير منتبهة... جالسة غير منتبهة، بعض بنات، ونساء، تفاهات، تراهم يتضاحكون بفتور، وكأنهن مضطرون، لماذا، هذا أيضا كان شعورا باهتا، لم يزل الابتسامة الموضوعة على وجهها، وكأنه مخلوق هكذا.

انتهت الزيارة ومن احدي الأسئلة الباهتة ايضا، أيعقل أن جدتها تنجب من جديد، وتضع مولودة وتدعى (باتيل)؟! (باتيل)؟! اسم لم يكن لتسمع به في عصرها، ولكن هذا لم يؤثر على ابتسامتها. انتهى الموضوع، وانتهت الزيارة، وانتهى اليوم، الذي ستختتمه بحلمها الذي لم يتحقق، وتعتقد انه لن يتحقق، بتقربها ل (ثائب)، وهنا وهى على السرير في وسط الظلام التي نست خشيته، بل أصبحت تحبه اكثر لمساحتها فيه، وسمحه لها، بغشاوتها، وهى تنظر إلى فوق، نائمة على ظهرها، واضعة كفيها خلف رأسها، مبتسمة، جاء في بالها إذا تم حقا ما تتمناه وحبها (ثائب)، وتم التقرب من بعضهما، ماذا بعد؟!، زال هذا السؤال جزءا من ابتسامتها، وجعلها تنام على جنبها الايمن، واضعة كفيها مضمومين على بعضهما تحت رأسها، "أسنرتبط؟!"، فتقلبت ثانية على ظهرها فجأة، "لا، لا، ارتباط ماذا؟!"، وشعرت بعدم الأمان في هذا، فهى غير متمردة إلى هذا الحد، "غير معقول، ان أفعل ذلك... ماذا سيحدث؟... هل هو مضمون انه سيبقى معي للأبد؟... على طول؟!... هل مضمون انه حقا سيتزوجني؟... سيتزوجني؟!... زواج ماذا؟!... هذا طفل، عيل، بالطبع لن يفكر في شيء كهذا... لذلك لن اضع نفسي في هذا بالطبع... فأنا أهم... ليس بهذا الشكل... ولكن لن اتحمل ما سأضع نفسي به ثم

لا اجد ما انا به، كل هذا، كل ما سأعطيه، وما سأفعله، كل هذا ثم ماذا؟ ولماذا؟ والمفترض انه وصلا لهذه النقطة لأنه يحبني، فلماذا سيفعل شيئا كهذا؟!... الجواب طبيعي لأنه عيل، ما هذا؟!... ما انا عارفة كل شيء اهو! إذًا لماذا شاغلة نفسي"، وقررت انها ستنساه تماما وهى تغمض عينيها وتنام، وقد شعرت بلذة النوم وكأنها لم تنم منذ قرون.

ذهبت (ليل) إلى المدرسة اليوم التالي، وقرارها في نفسها، صعدت الدرج، جلست في مكانها منتظرة دخول المدرس، في بداية اليوم وكان اليوم له شدة مثل الغربال الجديد كالمثل الذي يقال، مستعدة، دخل المدرس مستعجلا بسبب دخوله المتأخر، بسرعة كتب على السبورة تاريخ اليوم والعنوان، وبسرعته التلاميذ فتحوا معه الكشاكيل، والكتب، وكأنهم يريدون اللحاق به، وقد أنسى كل الطلاب أي شيء في بالهم.

انتهت الحصة بعد ان هدأ المدرس في نصفها وبدأ بهدوئه التعامل مع الطلاب، فقد كان من الأساتذة الفريدين بالنسبة ل (ليل) ان يتعامل مدرس معهم بهذا

الهدوء والوقار... بدأ معها صعود (ليل) في الأمر، بغد ان كانت تنظر للطلاب شاردة في افكارها مغطية ظهرها للسبورة ساندة بيديها خلفها على المكتب، نظرت مرة أخرى إلى الأمام، مع محاولة نسيانها الأمر، شعرت بملل رهيب، خرجت قليلا لتنظر إلى المدرسة وطلابها، في شرود، زهقت ثم دخلت، وعندما تراه في وجهها، تفكر فيه دون تحكم منها، وتكون سعيدة، وتنساه ثانية، "الحياة مملة جدا"، هكذا فكرت وهى في حياتها، تنظر إلى الطلاب ايضا، وفي نظراتها، لاحظت أن الفتيات جريئات، فإنهن يستطيعن التقرب منه بكل سهولة، فذهبت وقفت بجانبهن، فقط دون كلام، مبتسمة، وستموت من الخجل، وهى تنظر إليهن وهن يتضاحكن معه، وفجأة شعرت بالملل من عدم تجانسها معهن، ومعه هو بالذات، واحست بالسخف، دخلت المدرسة (تائبات)، حمدت الله عليها، فجرى الجميع في مكانه، فهذا غريب، فهى لا تحب هذه المدرسة الصارمة على الفاضي، كما تشعر منها، ناظرة اليها نظرتها التي لا تتغير وكأنها تثير فضولها، وتسأل اسئلة كثيرة حولها، بداية من المظهر التي تتلحف به، وحتى تعاملها معهم، فهى تشعر تلقائيا انها تحللها نفسيا في كل مرة تراها بها، بسبب تساؤلاتها التي تدور في بالها فور رؤيتها... انتهت من رد السلام، وجلسوا جميعا منتظرين ما ستقوله لهم المدرسة.

تركت المدرسة ذاهبة إلى والديها من الملل التي لا تستطيع أن تقاومه أكثر، باكية "يا بابا، أنا لا أريد أن أذهب إلى هذه المدرسة مرة أخرى، أنا أزهق وأمل كثيرا، please يا بابا"، وهي تحتضنه وهو جالس من جذعه، وهو ينظر بفضول، واستغراب، وعلى وجهه ضحكة تعجب، "ماذا يا (لول) يا حبيبتي؟!"، وهو يبعد يديها ليراها، وسط ذهول زملائه ونظراتهم عليها وهم يضحكون على براءتها، ويكمل "لماذا يا روحي لا تريدين الذهاب مرة أخرى؟"

وهي تحتضنه "أنا لا أحب المدرسة..." وترفع رأسها وتحركها وهي تقول "لا أحب المدرسة يا بابا"، في وسط ضحكات زملائه، وابتسامته، "لا تحبينها لماذا يا بابا؟"، وهو يقلدها بسخرية.

بغضب أكثر "لا أحبها، يا بابا، لا أحبها"

بهدوئه "أليست هذه التي كنت تروجينها كل يوم، ولا تغيبين يوم؟!"

رجعت لحالتها الأولى وهي تحضنه بحزن أكبر "الآن لا أحبها يا بابا"

"طيب يا حبيبتي، سنرى هذا الموضوع في البيت، خذي وروحي الآن، لأمك"

"قل لها يا بابا ان لا تتدخل، أنا أتضايق من ذلك"، ضحك الأب "حسنا يا حبيبتي، سأقل لها"، قبلها من رأسها، واحتضنته أكثر قوة ثم ذهبت، وشاورت له وأعطته قبله بكفها، وذهبت مسرورة، لأن أباها أزاح عليها ما بها، بالرغم أنها تشعر ببعض الضيق لأنها ستقابل أمها في المنزل، لكن ما زالت مسرورة.

رجعت إلى بيتها لا يهم ما ستقوله أمها، فالمهم أنها لن تذهب إلى مدرستها مرة أخرى بغض النظر عن قرار أمها، ستذهب لأبيها وهو سيوافقها، رجعت، رأتها أمها "ما هذا يا (ليل)؟! أخرجتكم المدرسة بدري اليوم؟!"

"لا، يا ماما أنا ذهبت لأبي"، لا تريد أن تقول لها، في الحقيقة لا تجرؤ.

"ذهبت لأبيك!، ما معنى هذا؟!"... لم ترد عليها (ليل)، ودخلت على الغرفة، جرت وراءها (بابونج) وشدتها من ذراعها بقوة "أتقولين إنك تركت المدرسة لتذهبي إلى أبيك؟!"

"لا تقلق يا ماما، لا شيء يهم، فأنا في شهادة"

"نعم هذا هو المهم، هذه الشهادة الإعدادية، وإذا يا (ليل)..."، وهي ترفع أصبعها في تهديد، ممسكة

بذراعها، قاطعتها (ليل) في خوف، "لا تقلقين، يا ماما، سوف أنجح أفضل من ذي قبل"

مع رفع صوتها بحدة "لا..."، وإصبعها ، "وتجلبين أعلى الدرجات"

"حاضر يا ماما"، وهي تشد نفسها في خوف.

"تفضلي، يلا"، دخلت (ليل) وقد كانت حساسة، فقد تأثرت وسالت دموعها، فمسحتهم سريعا، موبخة نفسها على تأثرها هذا، ففقط والدتها صاحت فيها، لماذا هي بذلك التأثر، ونست الموضوع، لترى ما الذي يمكنها فعله.

في اكتئاب، وكأن الدنيا تضيق بها، حقا، فهي لا تجد نفسها أبدا في هذا العالم، في هذه الحياة، وتعتقد أنها حتى لو كانت في زمان آخر، مع أناس آخرين، لن تجد نفسها أيضا معهم، فالمشكلة، لا تعلم، تعتقد أنه يوجد شيء خاطئ، لا تستطيع أن تكون نفسها، رمت ما في يدها من ثياب، وجلست قليلا على السرير، تفكر في ما ستفعله، فقليلا ستنزل لدروسها، وقررت أن تتمشى مع صديقتها (بتول) قليلا، وأن تذهب للبيت مواصلات، فإنها تجد فيها حرية الشرود...

وجدت أباها يفتح الباب أحست أنه جاء مبكرا، انتفضت ولبست ملابسها سريعا، واستعدت للغداء، بابتسامة تلقائية فور علمها أن أباها في المكان، لتستعد بعد ذلك للخروج للدرس.

خرجت مع (بتول) بعد الدرس، وهما يمشيان في هذا الطريق، وتقول لها (ليل) دائما ما تريده في هذا الطريق المظلم، الذي لا يوجد أحد به، ولكنه طريقهم الوحيد، ورغم أنه مقلق إلا أنها تجد به الخصوصية لتبوح بأي شيء لصديقتها، الوحيدة التي تكون أمامها على طبيعتها وتستطيع أن تكون هي دون أن تشعر، "أنا لا أحب المدرسة، وقررت أن لا أذهب إليها ثانية"، ذهلت (بتول)، "كيف هذا يا (ليل)؟!"

"عادي، نحن في الشهادة الإعدادية وعادي، نحن في مدرسة تجريبية خاصة، لا يهم".

"لماذا؟، أيوجد أحد ضايقك؟"، بنبرة شك

"لا طبعا، لا تقلقين"، وهي تخبطها على ذراعها بالكشكول، "أنا فقط..."، وستشرح... فجأة ظهرت البئر الذهبي، الذي يشع منه شعاع ذهبيا وخطف (ليل) بداخله، لم تراها (بتول)، وهي تلتفت حولها بسرعة

وذعر وتنادي، "(ليل)، يا (ليل)"، ثم خافت أكثر وجرت بعيدا، وهي تحتضن كتابها من الخوف، وتجري وتلهث بسبب دقات قلبها التي كادت أن تتوقف من الخوف وأظهرت الدموع في عينيها، حتى وصلت على الطريق وقد كان به حياة عن الشارع الذي يؤدي له، وهي منحنية، يديها على ركبتيها وتلهث في انهيار وتبكي، فرآها والدها الذي كان ينتظرها لتعدي له الطريق، فجرى ناحيتها، وامسكها من وجهها في لطف، "ما بك يا (توتو)؟! ماذا يوجد؟!"، وهي تشير إلى الطريق ولا تستطيع التحدث من اللهث، وفور نطقها ل (ليل)، وهي تقول، "(ليل)..."، حتى انهمرت بالبكاء وهي تقول بصوت متهدج، "(ليل)، (ليل)..."

"مالها (ليل)؟!"، وأبوها ينظر إلى الطريق المظلم، وهي تكمل في انهيارها، "(ليل)... لا أعلم، لا أعلم..."

"لا تعلمي ماذا؟! ألم تكن معك!"

"أجل، واختفت كأن شيئا أخذها..."، وهي تقول "لم ألاقيها" زاد بكاءها أكثر...

باستغراب شديد سأل والدها، "ما معنى لم تلاقيها؟!"، وهو لا يستطيع تحييد نظره عن الطريق مع كل سؤال، وهي لا تستطيع أن تتوقف عن البكاء مع كل "لا أعلم" تقولها... خبط أبوها على خديها برفق، ولا يزال ينظر إلى الشارع في استغراب، لا يعلم هو الآخر، ويطبطب

عليها وهو يديرها، ولا يزال وجهه ينظر خلفه إلى الشارع في عدم فهم.

لا يعرف ما الذي يجب أن يقوله لوالدي (ليل)، اتصل بأبوها، رد عليه (بابكر) والد (ليل).

فرد هو الآخر في ارتباك، "ألو، الباشمهندس (بابكر الأيمن)؟"

"أجل"

"حضرتك والد (ليل)؟"

"أجل، هل يوجد شيء؟!"، في توتر

"والله، يا باشمهندس (بابكر)... "، مع ارتباك أكثر، يفكر في قوله، فقرر أن يقول ما حدث فقط، لأن لا شيء غيره يمكن أن يقال، "والله، يا باشمهندس (بابكر)، ابنتي (بتول)، انت تعرفها، صد..."، قاطعه (بابكر)، "أجل، أجل"، وبدأ الخوف يتسرب إليه، وقلبه يدق بشدة، فقال (محمد عبدالله)، "والله، يا باشمهندس (بابكر)، ابنتي (بتول) قالت لي... قالت لي إن ابنتك (ليل) تم خطفها من شيء ما..."، وابنته واقفة في انهيار مع كل كلمة يقولها تقربه من قولها أكثر، يخفق قلبها بشدة، والدموع تزداد، فقاطعه (بابكر) في ذعر أكبر، "ماذا؟!!..."، في عدم

فهم، وتوهان، "نعم؟!! ما هذا؟!! ما يمكن... ما هذا الذي تقوله؟!!"، صارخا في وجهه... أزاح الأستاذ (محمد) الهاتف من على وجهه قليلا، ولا يزال (بابكر) يصرخ، "ما هذا الذي تقوله؟! اعطيني ابنتك لو سمحت".

"حسنا اهدأ، يا باشمهندس، تفضل هى معك"، وهو يعطيها الهاتف أخفض صوته وهو يقول، "اهدئي يا عزيزتي، اهدئي"، وهو يربت على كتفها، وهى تهز كتفها وتريد أن تأخذ الهاتف في وسط دموعها، في صوت متهدج، "ألو، الو يا عمُ"

"نعم، يا حبيبتي، أين (ليل)؟!".

في صوت أكثر بكاء، "لا أعلم، يا عمُ".

يحاول تهدئة نفسه، "كيف لا تعلمي يا حبيبتي؟!".

" لا اعلم يا عمُ، هو فقط، كنا نمشي ونتكلم، وفجأة لا أعلم".

بدأ يغضب، "ما الذي لا تعلمينه يا حبيبتي؟! أين (ليل)؟ ألم تكن معك؟"

"نعم، يا عمُ، لكن... لكن... لا أعلم، فجأة لم الاقيها معي، فجأة لوحدي، لم الاقيها، وناديت عليها، لا أعلم، لا اعلم يا عمُ"، في وسط دموعها.

قال (بابكر) مهدئ الوضع، "اباك قال ان شيء خطفها؟!".

"أجل يا عمُ، لا اعلم، لا أعلم..."، وزاد بكائها، وهى تقول، "وكأن شيئا أخذها... لا أعلم".

"كيف؟! ألم يكن أحد معكما؟!".

"لا، يا عمُ، لا أحد إطلاقا، فلم يكن في الشارع غيرنا".

"أمتأكدة يا حبيبتي؟!".

"أجل يا عمُ".

"اجل أنا أعرف هذا الشارع، وكذا مرة اقول لكما لا تمشيان منه".

"لا تقلق يا عمُ، فهو شارع امن، فأمامنا في الشارع العمومي قسم الشرطة".

"أنا اعرف يا حبيبتي، لكن الشارع ظلام أيضا وغير أمنا، ماذا حدث؟!"، بغضب أكثر.

"لا اعلم يا عمُ"، وبكت ثانية.

"هل وقعت في بلوعة؟!".

"يبدو ذلك".

"يبدو؟!".

"لكن المشكلة انه لا يوجد بالوعات في هذا الشارع"، وبدأ قلبها يخفق وزاد الخوف لديها.

وقد غضب (بابكر) من هذه الكلمة الاخيرة، "إذًا ماذا يا حبيبتي؟! ماذا؟!".

"لا اعلم يا عمُ، لا أعلم"، وزاد بكائها أكثر، فأخذ والدها الهاتف، وقال "هى لا تعلم يا باشمهندس (بابكر)، بلغ الشرطة، و-إن شاء الله- ستجدها".

لا يعرف بماذا يجيب، وهو يحرك يده ويخبط على جانبيه في قلة حيلة، ويكاد يبكي، "حسنا يا أستاذ (محمد)، شكرا لك، وأسف على توتر ابنتك".

"لا تحمل هما يا باشمهندس (بابكر)، أنا معك في أي شيء إلى أن تجد ابنتك بالسلامة إن شاء الله".

"شكرا لك كثيرا، يا أستاذ (محمد)، أتمنى لك السلامة، ولأولاد حضرتك".

"شكرا لك يا باشمهندس (بابكر)، وإن شاء الله تجيد ابنتك سالمة، آمنة، غانمة، وتفرح برؤيتها فرحة تنسيك همها، ولا ترى في أولادك بأسا أبدا يا رب، وأنا والمدام دائما معكما في هذا، إن شاء الله".

"شكرا لك كثيرا على كرم أخلاقكما، شكرا لك".

"مع السلامة يا باشمهندس (بابكر)".

"مع السلامة يا أستاذ (محمد)". أقفل معه وهو لا يعلم ماذا يفعل؟! أو ما هذا؟! أو أي شيء، تائه في فراغ... لا يعلم أي شيء، لا يعلم ما به...

ذهب فورا إلى المكان، ومعه الشرطة... والدتها في البيت جالسة لا تعلم ما الذي يحدث ولكنها تشعر بأن شيء ما يحدث... ذهب (بابكر) إلى المكان يبحث في جنون، والشرطة معه بهدوء تبحث، هي والكلاب، بالكشافات في أيديهم، فقال الشرطي، "لا نرى شيئا، يا سيد (بابكر)".

صارخا بهم، "ما الذي لا ترونه..."، بحزن أكبر كاد أن يبكي أمامهم قال، "جدوا لي ابنتي، لا أعلم، ليس لي دخل، فقط جدوها ، وسأعطيكم أي شيء".

قال الشرطي، "أسف يا سيد (بابكر)، لكن حقا الشارع أمامنا ولا نرى شيئا، قدم البلاغ لنا وسوف نساعدك أكثر -إن شاء الله- في العثور عليها".

صارخا بهم، "لماذا لا تنيرون هذا الشارع؟ ها؟ لماذا تنتظرون حتى يحدث حادثة؟ أو مأساة كهذه حتى تفعلوا ما يجب فعله؟ ها؟ لماذا؟"، ربت على كتفه الشرطي، "لا تقلق يا سيد (بابكر) سوف نجدها لك إن شاء الله، لا تقلق، يوجد كاميرات على أعمدة هذا الشارع، انظر".

ولا يزال يصرخ، "وماذا ترى الكاميرات في هذا الظلام؟!"، وهو يحرك يده بوسع ليدل على الطريق في حركة عصبية.

قال الشرطي، "انتظر سأريك"، وفتح اللوح الذي معه، ونظر به، ثم قربه لوجه (بابكر)، "ها هو الشارع الذي نحن فيه يا سيد (بابكر)"، وقد كانت الكاميرات رؤية ليلية، وهو ينظر السيد (بابكر) لها بتركيز... ثم رأى ابنته، فتحرك قليلا، ولا يزال منتبه، حتى وجد ابنته فجأة لما تعد موجودة فعلا، لا يعلم كيف، وصديقتها تنظر حولها، وتقرب إليه الكاميرا، قائلا، "أعيد المشهد، مرة اخرى"، بهدوء أكثر قالها، وقلبه يكاد يخلع من مكانه، وضع يده عليه، وبدأت الحرارة تتسرب إليه، ويكاد يبكي، وهو يقرب نظره من الشاشة، ثم أوقفها في نقطة معينة، وأخذ يقرب اللقطة، وهو ينظر بتمعن شديد، وينظر أكثر، حتى وجد شيئا غريبا، وكأن ابنته وقعت من حفرة أو شيء ما وقد كانت مشعة بصورة خاطفة لدرجة ان الكاميرات حتى لم تلتقط اشعاعها، ولكن ظهر ضوء بسيط جدا يكاد ان يرى، وقال للشرطي، "انظر"، وأشار له لهذا الضوء البسيط، "ما هذا؟!"، فدقق الشرطي النظر، وهو يقرب اللوح من عينيه، "لا أعلم ما هذا"، وأعاد اللقطة ببطء وهو يمرر إصبعه على المقطع وهو متوقف، مرة تلو الأخرى، "لا أعلم، وكأن ابنتك، تم خطفها، أو بلعها، لا أعلم!"

قائلا الأب، "ماذا الآن؟"، في يأس وعدم فهم، "لا أعلم، ما هذا؟!"، وهو يشير إلى اللوح الذي بيد الشرطي وكاد ان يبكي، او هو بكى إلى هذه الدرجة التي لا يعلم أحدهم

اهو يبكي أم لا، "كيف سأخرجها الآن، أو ما هذا أصلا؟!"، صارخا هذه المرة لا يستطيع السيطرة على اعصابه، ذهب إليه الشرطي، "لا تقلق يا سيد (بابكر)، سنرى الحل، إن شاء الله".

"أي حل؟!، أي حل؟!"، صارخا وهو لا يستطيع أن يتمالك أعصابه، "أين ابنتي يا؟..."، "أين ابنتي؟"، وهو يذهب ويجيء حتى البكاء لا يستطيع أن يناله، "حسنا يا سيدي لا تقلق".

بهدوء أكثر بعد أن علم أن لا أحد يستطيع أن يفعل له شيئا، "حسنا يا سيدي شكرا لك"، وهو يمسك يده ويسلم عليه، "شكرا لك، ولكن هل لي أن أخذ هذا المقطع؟".

"بالطبع هو لك، ولكن يجب أولا أن تفعل بعض الإجراءات لإعطائه إليك"

"حسنا يا سيدي، أين يجب أن نذهب لفعل هذه الإجراءات؟".

"تفضل معنا يا سيد (بابكر)"، وهو يضع يده خلف كتفه، بثبات انفعالي ذهب معهم، ومعه ذهب الكل.

ذهب إلى بيته مهموم حزين، لا يعلم ماذا سيقول، ولأول مرة يكره أن يدخل البيت... أمام الباب... متردد... لا

يريد أن يدخل... حتى فتحت له زوجته، تنظر له في قلق واستغراب، فور رؤيتها حضنها وبكى، احتضنته، "ماذا، ماذا؟! ما بك يا (بابكر)؟!"، وهو يبكي لا يستطيع أن يرد، فماذا سيقول، وهو يمسح دموعه، ويدخل، قائلة زوجته وهى تنظر إليه في استغراب، "أين (ليل)؟!"، واثناء سؤالها دق قلبها فجأة، ثم صرخت، "أين (ليل)؟... أين (ليل) يا (بابكر)؟".

مهدئا لها وهو بالكاد يستطيع الجلوس، "اهدئي، اهدئي"، سكت قليلا، ثم قال، "أسمعت عن البئر الذي يأخذ الناس، والأطفال، وأي كان؟"

"آه"، وهى تنظر إليه لا تريد أن تذهب إلى هذا، تمنع عقلها، وهو لا يزال صامتا، حتى قالت، "لا تقول لي".

نظر لها في حزن، وخوف من ردة فعلها، وفجأة وهو لا يزال في شعوريه هذين، "يا للهوووووول"، وهو يمسك فمها، "اهدئي، اهدئي، ستصحي ابننا"، وهو الذي جاء يجري ناحية أمه خائف، "ماذا يا ماما؟!"، في خوف... وهى تربت عليه بعد ان حملته تلقائيا من جريه ناحيتها، لا تستطيع الكلام، ولا حتى البكاء، وهى تلعب بخصلات شعره تلقائيا، وتقول له ببطء وهدوء، "اذهب يا (توتو) نام انت ولا تخف"، وهى تقبله، "حسنا؟"، وهو ينظر إليها في خوف، ويأكل فمه، في إباء، وهى تقبله بهدوء مرة أخرى، وهو خائف أن يذهب، وتضعه على

الأرض، لا يريد أن يذهب، "هيا، يا (توتو)، هيا"، وهو يمسك يدها، حتى ذهبت معه، لتطمئنه.

وبعد قليل رجعت وهي في قمة همها، وهي لا تستطيع التفكير في أي شيء، وهي تقول هامسة بعد أن جلست بجانبه على طرف الكنبة، قريبة إليه، وتأخذ نفسها بصعوبة وكأنها على مقربة من ذبحة صدرية، "وما الذي جعلك تقول مثل هذا الكلام؟". جلب اللوح من جانبه، قائلا، "انظري، لقد أخذته من كاميرات الشرطة"، وهو يضغط لها ليشتغل المقطع، وهي تنظر له غير مستوعبة، بعينين ملأهن اللهفة، ثم قالت "ماذا؟!"، فقال لها وهو يكبر حجم المقطع بإصبعيه، "انظري"، وضغط مرة أخرى ثم أوقفه، ثم قال لها مرة أخرى، "انظري"، دون أن يشير لشيء... وهي تنظر مرة أخرى، لا ترى شيئا، وأصبح الغضب يتملكها، "ماذا؟"، وهي تجز على أسنانها بالكاد تستطيع ألا تحدث صوت، كبر أكثر بعصبية ثم شغل المقطع مرة أخرى ببطء وتوقف، ثم قال بعصبية أكبر، "ألا ترى هذا؟"، وهو يكبر أكثر بأصابعه، "انظري"، وهي تدقق أكثر، ثم قالت، "أتقصد هذه؟!".

"نعم".

"هذا..."، كانت تريد وصفة لكنها لم تستطع، "ماذا يا (بابكر)؟!، لعله شيء في الكاميرات، أو طائر عدى أمام الكاميرا يا (بابكر)، هذا لا شيء".

بثقة أكبر، "لا، أنظري فهي اختفت في لحظتها، هذا الضوء لا يظهر أبدا..."، تقاطعه في تعجب، "نعم!!"، ويكمل، "ولكنه هنا ظهر منه هذا اللون الباهت بالكاد يرى، ولجزء من ثانية فقط، الحمد لله أني استطعت أن ألاحظه".. حركت رأسها وهي تنظر إلى اللاشيء، وحرك هو يده في يأس، والصمت ساد في المكان لمدة لا أحد يعلمها.

نازلة (ليل) في هذا البئر بلمح البصر، لم تشعر بشيء، واقفة تنظر حولها في استغراب شديد، لا تعلم وكأن شيئا حدث لها، وكأن شيئا!! لا تعلم تنظر حولها، لا تعلم ما هذا، أو "ما هذا؟!!"، وفي بالها بشدة صديقتها (بتول)، ولكن ما تراه أمامها لا يجعلها تفكر إلا به، تنظر وراءها، حتى جاءتها من يمينها فجأة، قافزة (أهم)، بكل مرح، جعلتها تنظر إليها في استغراب أكبر، غير مستوعبة ما تراه، "ما هذا؟!".

فقالت وهي تحوطها بيديها، "أنا (أهم)"، وهي تشير بيدها على نفسها ثم ترفعها لتشير إلى العالم الذي هم فيه. "(أهم)؟!!"، وهي لاتزال غير مستوعبة،"(أهم) من؟! أو ماذا؟!"، فهي أول مرة ترى مخلوق مثل هذا.

فقالت (أهم)، "الآن ظهرت شخصيتك؟!"، بسخرية.

"ماذا؟!"، بضيق لما تقوله لها.

"لماذا ظهرت شخصيتك الآن؟!".

"ما الذي تقولينه؟!... ما هذا أصلا؟! وماذا أنت أصلا؟! ".

بحنية واعتزاز،" أنا (أهم)، حسنا، سأريك شيئا"، وفجأة مسحت (أهم) على الفراغ الملون أمامها، فظهرت حياة (ليل)، التي أحزنتها، ولم تسطع أن تكمل وذهبت بعيدا مغاضبة ، فظهرت أمامها (أهم)، "ماذا؟!، يا (ليل)... كوني مثل اسمك على الأقل، بك هدوء وهيبة"، لم يعجبها (ليل) الكلام إطلاقا، وهي ذاهبة، لا تعلم لأين، لا يهم، ذهبت بعيدا، ولكن لحقتها (أهم)، "انتظري، لا تغضبي"، وهي توقفها، "انتظري، سوف أريك شيئا آخر"، وأرتها أمامها شيئا سر (ليل) قليلا، وهي تقول مع ابتسامة خفيفة، "ما الذي ستريني إياه ثانية؟".

قالت (أهم)، "سترين ما المهم، ما الذي يجب أن تفعليه، انظري أنه أنت... هذا أنت"، وهي تشير بإصرار وقوة

على المعروض أمامها، "هذا أنت يا (ليل)، هذا أنت، لا تكونين إلا أنت".

"ما الذي تقولينه؟! ما مشكلتك معي؟ وأين أنا أصلا؟!"، ثم نظرت لها في إصرار في عينيها، قائلة، "أنا هي، أنا هي، أنا كل ما أرتني إياه، أنا الاثنان".

"آه حقا؟! حسن لنرى"، فرمت فجأة غبارا ملونا عليها، ثم تركتها وذهبت... فجأة وجدت (ليل) نفسها في الغابة، لا ترى أمامها، تتلفت لا تسطيع أن تحدد، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، تتلفت، لا تستطيع أن تمنع نفسها من التحير، لا تسطيع أن تعرف أي شيء، بدأت تناجي ربها، لا تستطيع أن تفعل أي شيء، وبدأت تبكي في ذعر، لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله، "ما هذا يا ربي؟! ما هذا؟! أنا لا أعلم أي شيء، ولا أعلم ما أنا فيه"، وهي تبكي، ناظرة حولها، لم تتحرك خطوة، وفجأة ظهر هذا، هي تنظر، "ما هذا؟!"، وفجأة أخذ يقترب منها بسرعة شديدة، "ما هذا؟!"، صارخة، وفجأة وجدت نفسها في مكان آخر، لا تعلم عنه شيئا، لا تعلم عنه أي شيء سوى هذا الذي يظهر فجأة، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، وهي ممسكة بنفسها في خوف، وذعر، لا تعلم ما بها، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، وهي تنظر ومستغربة المكان الذي كان مضاء حولها بألوان الباستيل الفاتحة، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، لا يوجد

شيء آخر لترددده، "ما هذا؟!..."، فجأة قاطعها هذا الصوت، "أين كنت؟!"، نظرت، ولا تزال تقول، "ما هذا؟!"، ثم تحول السؤال، ل "من أنت؟!".

"أنا!."، وهي تلعب حولها، فجأة قالت بصورة مباشرة، "أنا الوحي".

لم تفهم (ليل) ما قالته، "الوحي؟!... ما معنى هذا؟!".

"أنا الوحي، سأريك".

"ياريت".، ثم اخذتها بعيدا وذهبت بها إلي مكان اخر، "انظري، انه انت"، وهى تنظر (ليل)، لا تعلم ما فيها حقا، "ماذا؟!"، وهى تنظر اكثر، "ما هذا؟!"، وهى ترى نفسها تريد ان تذهب إلى الحديقة، ولكنها لا تسمع الكلام، "ما هذا؟! أكل شيء هكذا؟! لا، لا"، نافرة من الوضع، متململة منه... قاطعت هذا (ليل)، "ما هذا أيها (الوحي)؟! انا لا أعلم ما هذا"، قالتها بطريقة ساخرة.

قائلة (الوحي)، "لا تعلمين حقا ما هذا؟!... هذا انت، وانت حانقة على الوضع، غير راضية".

"أنا دائما حانقة على الوضع".

"هذا لأنه لست أنت".

"ما هذا؟!"، مستنكرة كلامها.

"انظري"، وهي تريها، والأخرى تدقق، قائلة لها، "كفى، ما هذا؟"، فنظرت لها (ليل) مستغربة بلطافة،

مبتسمة، واكملت نظرها إلي حيث ترى نفسها، وهى تقول، "ما..."، ثم فجأة تذكرت، وابتسمت، ثم قالت، وهى ترفع نفسها من التدقيق، وهى تشير بأنه لا شيء، "ولكن هذا..."، ثم توقفت عن الكلام، لعلمها بانها كانت لا يجب ان تكون مثل هذا... فقالت (الوحي)، "ولكن ما هذا؟!"، ضاحكة، فابتسمت (ليل) في حزن، وكانت تود أن تقول انها ليست هذا، ولكنها لا تستطيع فهي للأسف هذا، ولكنها ليست هذا فعلا... فقالت (الوحي)...

"انتظري، هو انت اسمك (الوحي) فعلا؟!"، قاطعتها (ليل)، فقالت (الوحي)، "أنا هو".

"أنت هو؟! ما معنى ذلك؟!".

"معناه، حسنا تعالي معي سأريك".

"ثانية؟!"، في ضجر.

"تعالي معي"، وهي تأخذها لمكان آخر، ذهبت معها إلى مكان به دواب كثيرة، قائلة لها، "انظري إلى هؤلاء، كُلٌّ لديه اسمه، لكن هو في الحقيقة ليس لديه اسمه"، لم تفهم (ليل)، قائلة لها (الوحي)، "وهل أنت حق تدعين (ليل)؟".

"نعم؟!!".

"وهل أنت حق تدعين (ليل)؟!".

"ما معنى هذا؟!".

"معناه أنك أيضا لست (ليل)".

"لم أفهم".

"(ليل)، أنت تفكرين بعواطفك، ولست بحواسك".

"ت، ما معنى هذا أيضا؟!".

"معناه أنك لست جاهلة، ولكن ينقصك الحزم قليلا، لتستطيعي أن تري من الآفاق أكثر"، بدأت (ليل) تمل من عدم فهمها، زافرة ، خانقة، "أنا لا أفهم، ولا أريد، أنا أريد أن أذهب للبيت، ولا أريد شيئا، ما هذا الذي أنا فيه أصلا؟! وما هو الوحي؟! من أنت أصلا؟!"، ذاهبة معها إلى مكان آخر، "أنا لا أفهم"، صارخة، لم ترد (الوحي) أن تفهمها الآن، ولكنها ستعلم فيما بعد، لتيقن ما هو

الوحي.

أخذتها لهذا المكان الذي يشبه السماء، ناظرة إليه (ليل) في دهشة، وإعجاب، "واااه، ما هذا؟!"، ونسيت ما كانت تصرخ به من قبل، "ما هذا؟! واو، أنه جميل".

"انظري كيف كل نجمة بعيدة عن الأخرى"، وهي تنظر، وبدأت ترى وهجا، ونارا يظهر من النجوم، قائلة، "لكي لا تحترق"، بفزع.

"بالضبط... لماذا لا تريدين أن تكوني مثل هؤلاء النجوم".

"ماذا، تريدينني أن أفعل يعني؟!"، بغضب قالتها.

"الآن تغضبين علي، تشعرين أنك في مركز قوة الآن، ها؟! حسنا لنرى"، أخذتها لمكان آخر، "لنرى".

"نعم، لنرى". أخذتها إلى مكان به أناس كثر، "من هؤلاء الناس؟!".

"انتظري فقط"، ذهبت معها إلى حيث يجب أن تذهب، قائلة، "أين؟!".

"إلى حيث يجب".

"إلى حيث يجب؟! ما هذا؟!".

"انتظري".

"ت". ذهبت بها إليه، "ما هذا؟!"، سألتها (ليل).

"أجبي أنت"، وهي تنظر إليها في ثقة، فنظرت (ليل)، "ما هذا؟!".

لم ترد (الوحي)، في ثقة تامة، ولا تزال (ليل) تتضايق أكثر، "أنا لست..."، تضايقت فذهبت بعيدا، "أنا لست..."، ولم تستطع أن تكمل...

"أنا أعلم" برفق قالت، وبرفق أكملت، وهي تمسح على شعرها، "أنا أعلم أنه لست أنت، أنا أعلم ذلك جيدا، لذلك أنت هنا".

في غضب عارم، "لماذا؟ لماذا أنا؟ لماذا الآن؟!".

"ألا ترى غضبك، أنه ليس المشكلة، المشكلة أنه أنت من تتمنين هذا..."، قاطعتها "أنا؟!" في ضيق.

"أجل أنت، أنت تعلمين جيدا أن أنت أكبر مما أنت عليه بكثير، تعلمين أنك أهم من أي أحد، وأنهم لو يعرفون ما أنت قادرة عليه، وما تطمحين له، سيعلمون أنك مهمة بالتأكيد، بل أهم مما يكونون عليه".

في حزن شديد قالت، "انا اعلم جيدا ما انا عليه... لكن... لكن..."، كادت تبكي، فلحقتها (الوحي)، وهى تمسح على رأسها، "أنا اعلم يا عزيزتي، يجب ألا تخجلين مما أنت عليه، انت اهم بكثير"، فنظرت لها (ليل) والدموع في عينيها، "لكن، لكن...".

"أنت أهم من أن يكون لديك اصدقاء لا يعرفون قيمتك، غدا ستعلمين أن الأهم هو الوحدة لك"، قفزت (ليل) "ماذا؟!".

"اسمعي كلامي، انت لا تصلحين إلا أن تكوني هكذا".

"هكذا كيف يعني؟! منبوذة؟!"

"منبوذة؟! انت لا تعلمين ما يجب ان يكون لك، لماذا تقاومين نفسك، انت تعلمي انك لا تستطيعين، انت تعلمين انك افضل وحدك، انت تعلمين انك الافضل، انت تعلمين انك كذلك".

سكتت فهى تعلم ذلك حقا، "ما المطلوب مني الآن؟".

"ان تكونين كما يجب".

"كما يجب كيف؟!".

"تكونين انت".

"كيف؟".

"توقفي عن التذمر، أتتذمرين علي وانت لا تعرفين أن تكوني انت!"، استهزاء بها... ضايقها هذا الاستهزاء، وكانت تريد ان ترد ولكنها لم ترد من شدة ضيقها، فأخذتها سريعا (الوحي) إلى المكان الخالي.

"ما هذا؟!"، في ضجر وهي تنظر لأعلى.

"انتظري..."، قاطعتها في ضجر أيضا وهي تنظر لأعلى أيضا، "سأريك..."، بغضب أكثر، "سترينى ماذا؟".

"انظري"، وهي تمسح بيدها، في ضجر يتزايد، "يا رب"، فدفعتها (الوحي) بداخلها، وأقفلت عليها، ممسحة بيدها في الاتجاه المعاكس، وتركتها وذهبت بسبب ضجرها وتذمرها المبالغ به، بل هي طبيعتها، وهي تقول باشمئزاز، "خليها إذًا، لتتعلم، هذه الفتاة التي تظن نفسها شيئا، وهي بين الجميع لا شيء"، فتركتها وذهبت.

ظلت (ليل) تنظر حولها وتنادي، "يا (وحي)، يا (وحي)، ما هذا؟!"، وهي ناظرة حولها لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله، ظلت مكانها جالسة، منتظرة، لا تعلم ماذا يجب عليها أن تفعل، ظلت هكذا، حتى وجدت أحدهم ذاهبا إليها، "ما هذا؟!"، وهي تقوم من مقعدها، وتقول، "ماذا أنت يا...؟!".

لم يرد عليها، ذهبت وراءه فهي لا تعلم أي شيء هنا، أو أي أحد، بل لم تر أي شيء أو أي أحد، ناظرة إليه، "يا... يا ريس... ما هذا؟!"، فتركها وذهب، "ما هذا؟!"... "لماذا تتركني دائما؟! هذه ليست أمانة"... "أمانة ماذا؟! أهي مسئولة علي؟! لا طبعا... أنا لا أعرف أين أنا..."، بغضب أكثر قالت، "كيف تفعل كل ما يحلو لها، هكذا؟!"، فتركت المكان وذهبت فيه، "ما هذا؟! كيف لها تفعل ذلك؟! هذه (وحي) هذه؟! يعني ما تفعله من وحيها أم من وحي ماذا؟! ماذا؟! ما هذه؟! ليس

لها الحق أصلا أن تحتجزني في هذا المكان"، سارحة فيما يدور بخلدها، "لماذا؟! لماذا أنا؟! أهذا البئر السحري؟! هذه البئر السحري"، قفزت من الفرحة، لا تعلم ما الذي أتى بها إليه، "لا يعقل"، ضاحكة، وظلت تلهو وتلعب، "آه"، وهي ترى نفسها ككل مرة، "لماذا؟!"، نائمة على ظهرها في هذا الفراغ وتنظر لأعلى، "ما هذا؟!"، وهي تنظر إلى نفسها، حتى غلبها النعاس.

فاقت من النوم على والدها يحييها، ابتسمت وهي تستيقظ قائلة، "بابا... أين كنت؟".

"أنا هنا بجانبك يا حبيبتي". وهي تقوم لتحتضنه، "بابا"، استيقظت في حب، وهي ترى أمامها والدها، مبتسمة، وكأنها في غمرة، ثم استيقظت مرة أخرى لتجد نفسها في المكان الخالي، ناظرة حولها في الفراغ بذعر، "ما هذا؟!"، وكانت قد نسيت ما هي فيه، "آه..."، وهي تضع يدها على وجهها، "يا ويلتي ... آه... ماذا الآن؟!".

ذهبت إلى الفراغ أمامها ، ثم جلست ورمت نفسها مرة أخرى على الأرض، نائمة على ظهرها تنظر لأعلى، فاردة ذراعيها، "آه، أكيد يراقبونني... آه... أنا تعبت... لا

أريد أن أكون هكذا"... ذهبت إلى حيث تريد، "يجب أن أرى ما الذي يجب فعله، لأفعله وانتهى"، ورمت نفسها على ظهرها مرة أخرى، "ت"، في ملل، فهى لا تحب أن تكون في مأزق، هذا يثبط من جهدها، ماشية بترنح مرة أخرى، ثم رمت نفسها مرة أخرى، "ما الذي يجب أن أفعله؟! ذلك يدعو إلى النوم، أوف، أنا لا أشعر إلا بهذا، ءأتبع ما أشعر به؟!..."، وهنا وكأن عقلها نور، ووقفت قافزة دون أن تشعر، "افعل ما أشعر به، نعم، هذا أنا"، مع حماس شديد وفرحة، وكأنها وجدت ما تبحث عنه، "أنا بالفعل وجدته"

"حسنا"، ذهبت ثم توقفت، "ممم..."، تفكر لا شيء في بالها الآن، إلى أين يجب أن تذهب؟! .. ثم فجأة توقفت ونادت، "أنا اسفة..."، تضايقت من نفسها فهي لم تتأسف من قبل، ثم أكملت، "اسمعي أنا أعرف انك تغضبين، ولكنه ليس مني، انت يجب أن تعلمي انه من (الوحي)"، وهي تفعل بيدها علامة الاقواس، "انه من (الوحي)، كما تسمين، لا أعلم كيف انك (الوحي)، ولا تعلمين ما اتكلم عنه..."، وهنا ظهرت (الوحي) امامها، "أعلم تماما يا (ليل)، ولكن يجب أن تحترمي ايضا الآخرين".

"احترمهم؟! يا (وحي) انت أو انتم لا أعلم بالضبط، ولكنكم خطفتموني، أنت بالتأكيد تعلمين الشعور الذي يصيب اي أحد مجبر على شيء".

"اعلمه تماما، فهذه الطبيعة البشرية التي جعلها الله لنا، لنؤمن به عن اقتناع تام، وهو ما يسمى (الإيمان)، لذلك يبقى الأقوى فينا"، وهى تخبط على قلبها.

"حسنا، ونعم بالله، إذًا فأنت تعلم الشعور".

"اعلم جيدا، فهو المتوقع".

في غضب شديد، "إذًا لماذا تغضبين وأنت التي تغلط".

"أولا تكلمي جيدا، ليس معنى أنك تشعرين بهذا، أن تقللين من نفسك التي أعطاك الله تعالى لك"، ولا تزال (ليل) تتنهد، "حسنا، يا (وحي)، ألا تعلمين أن في كل مدى يزيد الأمر؟ ماذا تريدين يا (وحي) مباشرة؟".

"أنت بالتأكيد علمت أنه (البئر السحري)"، وهي تفعل بيدها علامة الأقواس، فبادلتها (ليل) نفس العلامة بطريقة ساخرة، "(نعم)".

"إذًا فأنت تعلمين لما أنت هنا؟ المفترض أنك ذكية".

"الحمد لله، لكن لا أعتقد الذكاء يولد مع الشخص".

"لماذا تقولين هذا؟ الذكاء موجود في الكل حتى في الحيوانات، ولكن لكل ذكائه، إذًا فهو موجود، ولكن لا تدعي غضبك يسيطر على ذكائك، ولكن افعلي العكس"، تنهدت (ليل) مرة أخرى، "وأعلم أيضا أنك لا تحبين اسمك بالشكل الصريح، مع أنك تفتخرين به، وهذا ناتج عن محاولة إقناع نفسك به، وكنت تتمنين أن يكون اسمك

أجمل وأحلى، كالأسماء الجديدة..."، هنا قاطعتها (ليل) في لهفة قائلة، "أتعلمين أن جدتي ولدت من... قريب"، وهي تحرك يدها بترفع لعدم تذكرها وان هذا لا يهمها، ففكرة أن جدتها تلد، وتتذكر الاسم التي تشعر أن جدتها قديمة على هذا الاسم، وان هي والدتها تسميها (ليل)، "وسمت (باتيل)"، وهي تفعل علامة الأقواس، "هه"، وهي تفعل ذلك استهزاء بالأمر الذي تراه غير عادل.

"وأنت تريدين أن يكون اسمك (مايا) أو (هايا)، أو (ماليس)، أو (أماليا)..."، قاطعتها ، "و (ذكي جمعة)"،

فضحكت (وحي) وقالت لها، "هيا بنا"، وهي تشير برأسها، مبتسمة (ليل)، أخذتها من يدها، وطارت بها في هذا الفراغ الملون بالوان الباستيل الرائعة، وهذا ما يبهج (ليل) وهي تنظر حولها.

ذهبت بها إلى هذا المكان الذي يشبه القوقعة، وهي تنظر حولها (ليل) في انبهار، وهي تدور حول نفسها، "واو، ما هذا؟!".

"انظري، لهذه القوقعة..."، قاطعتها في اندهاش، "أهذه قوقعة؟!"، وهي لا تزال تنظر حولها، حتى قالت فجأة

وبمرح، "أهو هذا الذي يهون علي البئر قليلا"، مع ابتسامة.

"أعلم أنك تحبين الجمال".

"أنا أحب كل شيء"، وهي لا تزال تنظر إلى المكان، لا تستطيع أن تحيد نظرها عنه.

قالت (وحي)، فسألتها بغتة قبل أن تتكلم، "لماذا أنت (وحي) أنثى؟"، وهي تفعل علامة الأقواس بيديها.

قائلة (الوحي) وكأن الأمر بديهي، "لأنك أنثى!".

"آه"، وحركت رأسها وكأنها كيف لم تفكر بهذا من قبل.

"تعلمي ما مشكلتك يا (ليل)؟ أنك لا تفكرين من منظور آخر".

"شعرت بهذا منذ قليل"، مازحة.

ابتسمت (وحي) وقالت، "من الذي تحبينه؟"، فنظرت لها (ليل) في استغراب، وهي تضيق عيناها، وتنظر لها أكثر بمرح، "من قال لك يا (لئيمة)؟!".

هنا صاحت بها (وحي)، "انتبهي يا (ليل) لكلامك"، وهنا تركتها مرة أخرى، ولكن داخل القوقعة.

ثم تنفست في نرفزة ، "أتعلمين ما مشكلتك أنت يا (وحي)، أنك لا تتحملين شيئا"، وأكملت بعد تذكرها،

"وأعلم أنك تسمعينني الآن"... ولكن (وحي) لم تكن تستمع لها، وهي جالسة (ليل) في هذه القوقعة تستند بظهرها عليها، وهي تحرك يدها ناظرة لأسفل، مخنوقة، لا تريد شيئا، وتريد أن تذهب إلى بيتها، حتى ولو لم يكن من والدتها كما يجب أن تكون معها، فمالت على جنبها، وشعرت بالنعاس مرة أخرى، "أفيقي"، جاءها صوت قال لها هذا، فنظرت مفزوعة، "ومن أنت أيضا؟!"، في غضب.

"أنا النعاس".

"نعم؟!".

"أفيقي".

"أنت النعاس وتقول لي أفيقي؟! ها، والله العظيم"، وهي تخبط كف على كف، ثم خبطت على جدار القوقعة بكوعها، "وأنت يا قوقعة هانم، ألن تفيقي أيضا؟!".

"لا تقلقي".

"لا أقلق من ماذا يا (نعاس)؟!"، وهي تفعل بيده علامة الأقواس وتسأل بضيق مع بعض السخرية عندما تنطق اسم (النعاس).

فقال لها وهو يخفض صوته، "انتظري".

فحركت فمها في نفاد صبر، "ما لك؟! ما لك أنت أيها النعاس ما بك؟! ولماذا تهمس أصلا؟! وتتكلم

بصوت..."، مع نرفزة أكثر، "ت... وتتكلم بكلمة واحدة... ت... ما بك حقا؟ ولماذا أنت هنا أصلا؟!".

"أنا أريد أن أقول لك شيئا".

"أتمنى والله".

"أنا..."، وهي تحاول أن تركز معه وتحرك رأسها معه، وكأنها تشجعه، "أنا..."

"نعم"، وهي تحرك رأسها برفق بطريقة ساخرة، وإن لم تكن تقصدها، الحالة فقط أدخلتها بها وهي تعاملت معها بطريقة مرحة... ثم فجأة اختفى (النعاس)، استغربت هي تنظرت حولها في ريبة، "ما هذا؟! أنام (النعاس) أم ماذا؟!"، ثم نظرت لأعلى وقالت بعد أن زفرت في ملل، "حسنا يا (وحي)، أنا كنت أمزح، أنت جميلة، ولم أقصد أبدا أنك لئيمة وأنت تعلمي هذا، لكن معك حق، أنا آسفة"، بضيق من الأمر وهي ترمي بيدها على رجليها، فظهرت (الوحي) مرة أخرى... قائلة لها (ليل)، "ارتاحت؟! مبسوطة الآن؟!"، بنبرة مزاح لتدل على ضيقها، فقالت (الوحي)، وهي ترفع أصبعها في وجهها، "انتبهي يا (ليل)، لا يجب أن يُرى منك أي شيء يُمسك عليك في مستقبلك، إذا كنتي تريدين أن تكوني شيئا عظيما"، فحركت (ليل) رأسها في قناعة تامة، وارتسم الهدوء والجد على ملامحها، وكأن الكلام حين سمعته أضاف في خلقها، فشعرت تماما أن عندها حق تماما،

نعم فقد أحست وكأن كانت هذه الكلمة التي تنقضها، بل تزيدها، ونظرت للأمام وقالت، "أنا معك أينما تريدي، وكما تريدين، أنت right،، هيا بنا"، وانتبهت (وحي) لما قالته، وابتسمت لهذه الكلمة الإنجليزية التي لا تمش بالمرة مع أي شيء في هذا الموقف، ولكنها علمت هنا أنها الآن مستعدة، فقد خرجت منها عفوية، وقالت بسلام، "هيا بنا"، وأمسكت بيدها ونظرا للأمام في ابتسامة وجدية.

ذهبتا إلى حيث يجب، لقد ذهبتا إلى الجورنال، فقالت (ليل)، "ما هذا؟!"، وهي تنظر إلى الأرض من تحتها، "هذا ما تسمونه جورنال".

"جورنال؟!... مم... أعتقد أني سمعت شيئا كهذا".

"الجورنال هو ما تكتب فيه أخبارك".

"ممم"، لم تهتم (ليل)، فهي تشعر أنها لن يكتب أخبارها في جورنال كهذا، فقالت (الوحي)، "لم لا تستعجل!"، وهي تبرطم، "وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا"، فأقطبت حاجبيها في تساؤل، "ماذا؟! ماذا تقولين؟!".

"لا يهم يا حبيبتي"، وهي تدورها من ذراعها لتنظر إلى الجورنال، "ماذا ترين؟".

"ممم... اسمعي أنا لا أهتم، لا يوجد هذا الجورنال الآن".

"فقط اقرئي".

قرأت في ملل، "مم... ممم"، وهى تبرطم بما تقرأه، "ما هذا؟! كيف علمت بهذه الأشياء؟!".

"أنا لم أعلم، ولكنه سيحدث".

"سيحدث؟!! وما أعلمك انت".

"انظري"، اخذتها لطريقة أخرى، فأفلتت يدها منها، "أتعلمين شيئا يا (وحي)، انت لا تستطيعين أن تعلميني"، فنظرت لها (وحي) وهى تضيق عينيها في ضيق وتربع يديها، كانت (ليل) هذه المرة تتكلم بانضباط اكثر، وقد خرج صوتها به حدة مع رزانة، "يا استاذة (وحي)، أو مهما كان لقبك، لا أعرف ما لقبك صراحة..."

"(وحي) لوحده لقب"، وهى تفعل بيدها علامة الأقواس، فأكملت (ليل) وهى تكتم غضبها، "لا تقاطعيني أبدا بعد أذنك يا (وحي)..."، وهي تفعل نفس العلامة، "أي أحد لا يغضب..."، وهى تحرك رقبتها في غضب مكتوم، "أو... أو يحاول ألا يغضب بمعنى أصح، لأنك بالتأكيد تعلمين ما الشعور القادم"، فتحرك فم (وحي) في عدم رضا، "أنت لا تصلحين يا (وحي)"، وهي تغضب عليها

بشكل متحكم به بأقصى مما تقدر، فنظرت لها (الوحي) في انبساط، وقالت، "تعالي معي، فلقد نجحت".

"نجحت!"، ولم تنته من كلمتها، حتى أخذتها (وحي) إلى هذا المكان الساحر الذي به ما تحبه وتسعد له (ليل)، "واو"، وهي تدور حولها، "الآن أنت معلمة، أفضل معلمة في الحياة، في الدنيا كلها".

"ممم"، وهي تحرك يدها ووجهها رافضة، "ليست في الحياة وبعدها الدنيا، فالحياة والدنيا غير"، فنظرت لها (ليل) وتمالكت نفسها لسماعها، فهي غير ذلك كانت ستتركها لتمرح، فنظرت لها (وحي) وابتسمت، ومسحت على الفراغ وهي تضع يدها على كتفها، "انظري، هذه هي الدنيا"، وظهر مكان مظلم وكأن.. وبه ملاهي، "ما هذا؟! لماذا المكان مظلم؟!".

"لأنه أصلا هكذا"

"هكذا كيف؟!".

"وهذه هي الحياة"، وهي ترى هذه الدنيا تتغير للأفضل، "كيف هذا؟!"، وهي تنظر بفرح الأطفال لما يحدث من تغيرات أمامها، "واو"، ثم فجأة انتقلت الحياة إلى عالم آخر وتركت الدنيا مظلمة محطة، وانتهى المطاف إلى هذا المكان المظلم الذي لا يليق بشيء، وانتهى، "أين ذهبت الدنيا؟"، وهي تنظر تبحث عنها، فقال (الوحي)، "بل أين ذهبت الحياة؟ إن الحياة هي الشيء الوحيد الذي

يبقى ولكن إذا أراد الله تعالى منحها، فإنه يمنحها وتُصنع له الحياة..."

"دنيا"، قاطعتها في مرح.

فهزت رأسها (الوحي) رافضة، "أنسى الدنيا، بل تصنع شيئا أعظم، تُصنع له حياة"، لم تفهم (ليل)، "الحياة تصنع له حياة!".

"نعم، أنت لا تعلمين معنى الحياة، الحياة هي الأبدية"، انظري، فالحياة لا تزال قائمة"، حركت وجهها واقطبت حاجبيها في عدم فهم، "فالحياة هي التي تبقى؟!".

"نعم".

فلتبهجها ليس المهم أن تفهم، قائلة لها بدلال وهي تمسك خدودها وتحركه لها كالأطفال، "إذًا فأنت أفضل معلمة في الحياة"، أثناء قولها شعرت بها، "آه، أنا فهمت.. الحياة من الممكن تبقى معك حتى في آخرتك".

"إي، برافو"، وهي تصفق لها.

فضحكت (ليل) وقد وقعت على ظهرها مرحا، "برافو"، وهي لاتزال تضحك، فابتسمت (وحي) والضوء يذهب على وجهها يشرقه، وهي تشعر به يصفي وجهها، "فعلت لك، وأجلبت لك كل ما تحبين... أنت تحبين الجمال كثيرا".

"كثيرا، كثيرا جدا"، وهي تدور في هذا المكان.

"أترين كيف تجعلك السعادة.. تجعلك الأكثر حرية في الحياة"، وهي تبتسم، فذهبت تلقائيا لها وهي تمسكها مرة أخرى بدلال من وجهها، "بل الأكثر حبا".

"أحسنت، وهذا الأفضل، ولكن الحب..."، ثم رنت إلي الأرض قليلا، وهي تتركها تأخذ وقتا للاستمتاع، ثم قالت، "يجب أن يأخذك الحب للاستمتاع، هذه هي الحياة أيضا"، وتذكرت (ليل) في هذه اللحظة (ثائب)، وهي شاردة في هذا الأمر، "ولكن الحب..."، ثم رنت هي الأخرى إلى الأرض، فوقفت (الوحي) لها وقربت منها وهي تضع يدها على ظهرها وتريها، "انظري العالم من حولك مليء بالحب"، ولكنها فقدت ما كانت تملكه من فرحة، ثم قالت، "لماذا؟..."، وهي تفكر لماذا حدث معها ما حدث فهي لم تكن تنظر له من قبل حتى، لماذا هذا يحدث لها؟ وبدأ يأخذ هذا منها نصيبا من الحزن على نفسها، على الرغم من المكان، والجمال التي هي به، ثم فجأة نظرت بغضب إلى (الوحي)، "أنت من فعلت ذلك؟ فأنا كنت لوحدي، في حالي، ما بك؟".

فقالت (الوحي) مدافعة، "لا، الإحساس ليس من عندي، بل أنا الإحساس، أنا (الأمر)، و لو أن الله تعالى خلق الإنسان مخيرا، ولكن أنا ما أوضع في كل شخص"، لم تفهم (ليل)، وهي تكمل (الوحي)، "أنا من أوضع في

الشخص"، ولاتزال لا تفهم (ليل)، "تعالي"، أمسكتها من يدها، وأخذتها بهدوء أكثر هذه المرة.

كان المكان هادئ، هادئ جدا، وهواه عليل، يلفح وجوههم، وهى ممسكة بيدها، وقالت (ليل)، "ما هذا؟!"، وكان الهواء يطير شعرها، وهو يزداد، قائلة بشكل أسرع مع نبرة خوف، "ما هذا؟! ما هذا؟!"، وهى (وحي) مبتسمة، فاردة يدها وكفها، تستقبل الهواء، الذي أخذ يزداد، تخبت (ليل) وراء (وحي)، وهى تنحني بقدميها ليتسع جسدها، جسد (وحي) المبتسمة والتي تستقبل (الهواء)، وهى تقول لها (ليل) بخوف وقلق كبيرين، "ما هذا يا (وحي)؟! ما هذا؟!"، وقد أدركت (وحي) ما أدركته أخيرا (ليل)، بانها لا تستطيع الذهاب في هواء كهذا، وانما احتمت بها، وهنا هدأ (الهواء)، وابتسم ابتسامة لم تصدق (ليل) ما رأته، ثم ذهب... ثم وقفت (ليل) بحذر، وهي تنظر حولها بشعر الأشعث، الغير المرتب، الذي يغطي جبهتها، "ما هذا يا (وحي)؟!"، بنبرة عتاب.

فقالت (وحي)، "أنا لا احب العتاب على شيء اتفقنا عليه مسبقا".

"عتاب ماذا يا (وحي)؟!"، قالت فيها صارخة، "عتاب ماذا؟!"، بحزن أكبر، وجلست ضمت ركبتيها إليها تحتضنهما بذراعيها، فقالت لها (وحي) تنحني بقدميها ربع انحناء وتربت عليها في حنان، وعلي رأسها، ترتب لها شعرها في حب، "لا تقلقين، ولا تحزنين، ولا تحملين مني شيئا في نفسك يا صغيرتي"، جعل هذا المزحة تتسرب إليها قائلة لها في غضب، "أنا الثلاثة يا (وحي)، الثلاثة"، وهي تشير لها بالرقم، وقالت، "وإذا عددت أكثر من ذلك سأكون أنا أيضا"، فابتسمت (وحي)، "أترين لقد ذهبت مع مزاحك رغم غضبك، هذه نعمة، وأنت تعلمي أنها كذلك، ولم ترد أن تكتميها، أو تتجاهلينها تحججا ب (مودك)، ولكن سبحان الله، لأنك قبلتيها فيسرها الله لك لجعلها تدخلا في أي مود أنت محاطة به، وتلطف عليه، وتبدو ظريفة أيضا"، فنظرت لها (ليل) ولا تزال في ضيق، وقد جلست بجانبها (وحي) نفس الجلسة وقد كان الصفاء يحيط بهم، وكانت تتنفس (وحي) تنفس بهدوء، وكأنه تنفسا معينا تقوم به لتهدئ (ليل)، التي وجدت نفسها تتنفسه أيضا، وتشعر بهذا الصفاء والهدوء، وبدأ (الهواء) في هذه اللحظة ينشر نسماته اللطيفة مضيفا مزاج وجو يتناغم معه وكأنه محمل بالسعادة معه، جعل (ليل) تبتسم، وترفع رأسها وكأنها تستقبله هي أيضا في جلدها وشعرها، وتشعر بأنه يتغلغل بداخلها بكل ما فيه من رطوبة خفيفة ممزوجة

ببعض البرودة الخفيفة مع بعض الانتعاش الذي يأتي به (الهواء) مع حركته، وهي تستقبله في كل سعادة، ونظرت لها (وحي) مبتسمة، فوجدتها قامت فجأة في حماس جديد، وهي تصفق، "هيا بنا يا (وحي)، هيا بنا"، مبتسمة (وحي) لعلمها مفعول السعادة، وشكرت (الهواء)، وهي ترفع له يدها، "شكرا لك"، في وسط استغراب (ليل) التي تنظر حولها، حتى أخذتها (وحي) في لمح البصر، إلى هذا المكان، وقد كانت لا تزال (ليل) تحرك رأسها حولها من المكان الفائت... وهي تدور برأسها، فأدركت أنها في مكان آخر، تركت يد (وحي) في عتاب آخر، وهي تنظر لها، فتقول، "لماذا أنت يا (وحي) مصممة تفسدين أي لحظة جيدة؟!".

"أنا لست مفسدة".

هنا غضبت (ليل)، "ما بك يا (وحي)؟! ما بك؟!" وهي تشيح لها بيدها بعلامة السؤال، ثم هي تقول، "في كل كلمة يا (وحي) تقفين فيها" كانت تجمع أصابعها وتضرب بهم في كفها الآخر، "أنت غير معقولة أبدا، نعم، ولتغضبي من هذه أيضا... ولا تصالحيني ككل مرة"، بعصبية أكبر أكملت، "لا تغلطين من الأول لتصالحيني..."، قاطعتها (وحي)، "أنت من التي تغلط"، وكانت (وحي) هادئة لا تغضب، "أنا؟! أنا حقا!"، وهي تضحك غير مصدقة، وأكملت في غضب أكبر، "أنت

من تفعل أشياء تجعل أي شيء يغضب"، ثم نظرت لها، وأشارت عليها وهي تقول، "ما عداك"، ثم قالت في غضب ممزوج بحيرة، "أو تغضبين، أنا لا أعلم"، وفجأة جالها إلهام، "آه..." وهي ترفع اصبعها، "أنت تنقمصين، يا قماصة"، وهي تحرك خدودها في استهزاء، وأكملت قائلة، "وهذا أسوأ بكثير من الغضب بالنسبة لي".

فقالت (وحي) وهي تنظر إليها في ضيق، "أنت كثيرة الغضب يا (ليل)"، ثم بفرقعة أصبعيها أرجعتها مرة أخرى للمدرسة، وفجأة وجدت (ليل) نفسها في المدرسة، وهي تدور حولها... لم تستوعب بعد، فقد كان غضبها لا يزال بها، حتى نسته في هذه اللحظة من اللا استيعاب، فوجدت نفسها في المدرسة لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله، حتى وجدتها زميلتها في الفصل، وهي تصع يدها على كتفها باستهزاء، "إيه يا (ليل)!"، وكأنه يوم عادي، ولم تغب عنهم أبدا، فنظرت (ليل) في حرج، "إيه"، وكانت كما كانت من قبل، وحيدة... حتى (بتول)، عندما أشارت لها (ليل)، نظرت لها وهي تدير رأسها إليها، ولم ترد، وعندما وجدتها ذاهبة إليها، فعلت كأنها مخنوقة ولامست رقبتها وهي ترفعها في ملل، وكأنها تستعر من صداقتها أمام أصحابها التي كانت تقف معهم، وعلى الرغم من ذلك ذهبت إليها، وهي تقول بكل ود، " إيه يا (بتول)؟"، فحركت (بتول) وجهها، وقالت لها ، "عندنا حصة"، وهنا شعرت (ليل) بأن (بتول) كمْ تحب

المنظرة، ليست بصديقة جيدة، بل ليست بإنسانة جيدة، وتضايقت (ليل) بشدة من هذا، وذهبت ورجع إليها هذا الهدوء، والحزن، والضعف في شخصيتها التي يكون بإرادتها، وهي تكمل طريقها إلى الداخل، وكانت قد نست تماما (ثائب)، الذي تذكرته على باب الفصل، وكانت لا تريد أن تراه، ولكن كعادته المنفتحة، فقد كان يتكلم بصوت عال ويمزح، فهو من هؤلاء الذين لا يستطيعون الغياب عن الناظرين، (بارز)، رأته دون إرادة منها، لأنه ملاحظ من أي أحد، ولأنها لاإراديا تنظر إليه دون شعور، وهي تخفض عينيها سريعا دون شعور أيضا، لمقاومة الأمر، ولخجلها الشديد، ولكرهها للأمر، جلست في مكانها في الأول، فهي تجلس في الأول تلقائيا، مهما غابت، لأنها معروفة أنها لن تجلس في أي مكان آخر، لأن والدتها التي تأتي معها ككل سنة دراسية لتجلسها في هذا، وكانت تحس أنه من الأقل أن تجلس في الخلف، فبدأت هي تفعل ذلك من نفسها دون والدتها بعد ذلك.

وكالعادة جالسة في وحدتها، لا تفعل شيئا، وقد تذكرت بكاءها لوالدها، قبل أن يخطفها (البئر السحري)، فقامت في غضب وهى تدب على المكتب، وتقوم مغاضبة،

"لماذا كل هذا؟"، وهى تخفض صوتها، وتهمس، "لماذا؟ انت حقا قماصة"... "هل إذًا سأروح؟! سأروح أخيرا! الحمد لله، هذا ما كنت أريده، أحمدك يا رب"، وهى ترفع يدها برأسها بعصبية، فمر من جانبها (ثائب) فهى قررت انها لن تراه ثانية، فهى لا تريد أن تذهب إلى المدرسة مخصوص من أجله، على الرغم من أنها تحب رؤيته، فارتبكت، وكانت تريد أن تدخل، ولكن، "(ليل)"... "ما هذا؟!" فهذا أول مرة ينطق فيها باسمها"، كمْ شعرت أن اسمها بصوته الجميل جميل، فقد لاحظت جمال صوته فقط عندما نادى باسمها، لم تستطع من شدة الخجل الرد عليه، ولاتزال ناظرة أمامها، فوقف أمامها، فأدارت نفسها فورا، "ما هذا؟!"، لا تستطيع التعامل مع هذا، أخذتها (وحي) وهى في هذه الحالة، والتي وجدت الصمت، وبدأت تشعر بطوله، فنظرت بوجهها ببطء، وفجأة وجدت نفسها في هذا الظلام، وعينيها تتحركان بسرعة شديدة، وبدأ الغضب يتزايد أكثر، فنظرت لها (وحي) في شماتة، وهى تضحك في صمت، "ماذا؟"، ثم ضحكت أكثر لتشعرها بما كانت عليه، فغضبت (ليل) وذهبت مغاضبة، لا تستطيع الرد، وهى تنظر لها، "أرأيت الناس تعاملك كيف؟!... هذه... التي استهزأت بك ووضعت يدها على كتفك، لتتمنظر بسيطرتها على حسابك، أين ذهب غضبك يا ست الغاضبة"، لم ترد (ليل) ولا يزال الغضب الذي زاد عليه

الحزن يأكلها، وهى تقضم اظافرها، ثم جرت في هذا الفراغ، ووراءها (وحي) لا تجري، فقط (ليل)، وكأنها تجري على جهاز الجري الرياضي، "و (ثائب)! لقد رخت قوتك للأخر"، فنظرت لها (ليل) بحدة تلقائية، فقد ازعجتها الكلمة كثيرا، ثم قالت بغضب، "ماذا تريدين مني؟ ها؟ ماذا تريدين؟... ليس لك دخل بي... أنا أريد أن أبقى هكذا".

"إذًا ستبقى هنا للأبد"، وحركت يدها للأمام... وأرسلتها إلى المكان الذي يبقى فيه المختطفون... وهي تنظر حولها، غير مستوعبة، أهؤلاء حقا أناس؟! أم ماذا؟! ولقد علموا بقدومها، فجاءها أحد يشمت بلا أي حرج منه، وهو يضحك، "ما هذا؟! أفشلت في الاختبار؟!"، وهو يضحك بشدة على حماقتها، لا يستطيع التوقف، فغضبت، ولكنها رجعت مرة أخرى، ولم تلق لها بال، ثم قال لها وهو يمشي بجانبها، "كنت ستغضبين وتوقفت، ظنا منك أنك هكذا تفعلين الصواب"، وزاد ضحكه مرة أخرى، عقدت حاجبيها في غضب أكبر، فأوقفها، كأنه قبض عليها متلبسة، "اهه، اهه، غضبت ثانية"، وهو يضحك أكثر، "ولكن أكثر قليلا من السابقة"، فاستغربته، ولكنها لم تسأله، فقال لها، "لا، لا، اسألي"، فاستغربت أكثر وكأنها سألت بشعورها الذي كان يقوى كل مدى، وقال لها، "نحن هنا كلنا يبان علينا كل مشاعر نشعر بها (مشاعرنا الحقيقية)... انظري"، يشير لها فوق رأسها،

فنظرت رافعة رأسها بعينيها، فقد كان التوهج، "انظري"، وهو يشير للكل، "أترين هذا التوهج؟ أحيانا يصيب الإنسان كله (يغلفه)... كما ترين، وهذا لا يكون شعوريا كما ترين، وتعلمين... ولكن يكون على حسب، ومدى، وشدة شعورك، وحسك... لا الاثنان ليسا واحد"، فتضايقت، فقال، "أنا أعلم، أنا أعلم فهذه حاجة مزعجة في الأول، لكن ستعلمينها قريبا... فقط تذكري، تصرفي حسب شعورك"، ثم نظر إلى شعورها (التوهج فوق رأسها) وقال، "الآن اسألي"، تضايقت أكثر وتزفر، فقال لها، "انت كثيرة وسريعة الضيق، لا عجب أنك فشلت"، ضيقت عينيها، فقال، "لا أحتاج لنظر إلى توهجك"، لم تعجبها الكلمة، "ماذا؟ لم تعجبك الكلمة؟!"، باستهزاء منها قالها، فعلمت أن اللون الأحمر الباهت المائل إلى البرتقالي هو للسخرية، فضيقت عينيها مع حركة شفتيها، ثم تركته وذهبت، ولكنه جرى وراءها، "أسف، ألا ترين هذا؟"، وهو يشير إلى (التوهج) الذي كان باللون البنفسجي الوردي، "لون جميل، مع أني أشعر انه انثوي أكثر، انه الفضول يا..."، فنظرت إليه بانها بالتأكيد لن تقول اسمها له، فقال، "آه... على العموم أنا (أحمد)"، وهو يمد إليها يده بالسلام، فلاتزال تنظر له بهذه النظرة وقد تغير اللون إلى مزيج بين الأحمر والأصفر الخفيف، فنظر، فقد كان يغطي حتى كتفاها، فقال، "آه... لم تصافح من قبل فتيان، انت فتاة محافظة إذًا"، بسخرية،

فنظرت وقد زادت حركة شفتيها مع حدة نظرها التي أخذت مزيجا بين عدم تحمله ومحاولة المحافظة على صبرها، فقال لها، "خلاص اهدي، اهدي، أنا كنت قادم إليك فقط ل... ممم... صراحة... اكتشفت انها طبيعتي..."، ثم في طريقة مسرحية قال بصوت منخفض وكأن لا يريد أحد أن يسمعه، "أليس من المفترض أن أخرج منها"، فهنا بدأ الفضول يشوبها قليلا، فقال شامتا أيضا، "أوباا، بدأ الفضول يظهر، أهو"، وهو لا يزال يضحك، فقال مستمر في طريقته المسرحية، "لا يخرج من هنا إلا من استطاع أن يتعامل بطبيعته الحقيقية المخلوق عليها، كما يعتقدون"، فنظرت له في فضول واهتمام أكبر، فقال لها مشيرا بيده ذهابا وإيابا، "تكلمي"، ثم فجأة قال لها، "آسف، فأنا أعرف... انت الآن متضايقة جدا، مكتئبة قليلا أو كثيرا..."، وهو يحرك يده بين هذا وهذا، "فاللون غالب، ولكن يطلع وينزل، أو يبهت ويشتد"، وهو يقترب منها ويهمس له ولايزال في طريقته المسرحية التي مستمرة في الازدياد، ويضع يده قرب فمه ويخفض صوته أكثر... وهنا تذكرت مشهد الفنان (حسن حسني) وكانت تريد أن تقوله له، وقد لاحظ تغير اللون لقليل من اللون الأصفر الفاقع، ولكنه متوهج على قمة الرأس فقط، وهو يقول، "أنت لا تحبين أن يصيبك أي حزن، كبريائك يمنعك"، فتفاجأت منه، ونظرت على نفسها، قائلا، "لا، لا، هذا لا

يظهر... أنا فقط أحللك"، كلامه يزيدها ضيقا، "آآ... لماذا تضايقت؟ أنت سريعة الغضب جدا"، فقال لها مع ازدياد اللون، "حسن، حسن، سأتركك الآن، فأنت لن تتكلمي الآن أبدا".

جلست وحيدة، حزينة في مكان غريب، لا تنظر إلى اللاشيء، بل تنظر إلى الأشخاص الذين أمامها، وبدأت تفكر، "لماذا؟"، ويراقبها من بعيد (أحمد) الفضولي، فهذه متعته في الحياة، (الاستكشاف)... وهو يراها، وليس لديهم أوراق وأقلام أو حتى هواتف ليدون بها، كان زمانه سيطلع بأبحاث، وملاحظات بالكثير منها ومن كل هذا، على العموم لا يهم، فهو أصبح لديه خبرة أكثر، وأكبر من لو أنه مدونها، فهو بقي أستاذ في هذا، ورغم أنه يقف ليرى من الجديد، فهذا يغريه ويحفزه ويشعره بشعور غريب من الفرح والإثارة والشماتة، وهي في الأساس ليست شماتة ولكنه من فرط حماسه، ولا يزال يجلس خلفها من بعيد يراقبها، وبدأت تثير تعاطفه، ويشعر أنه يريد أن يكلمها، ليفهّمها ويهون عليها، ولكن هي الآن في تفكيرها الخاص، لا يسمح لأحد أبدا، ولا ينبغي على أحد أبدا قطع تفكير أحد الخاص، فهذا يزعجه، يزعجه هو (أحمد)، فهو لا يحب ذلك، وهذا من

أحد أخلاقه، وهو لايزال ينظر إليها... ويزيد تعاطفه أكثر.

وهى لاتزال جالسة تنظر، وتفكر وتتذكر، فجأة تذكرت كل الناس الذين كانوا في حياتها، وترى كمْ هما سيئين، وهى تقول في نفسها، "الكل هكذا لديه السوء في شخصيته؟!"، فزاد اكتئابها أكثر... ولا يزال (أحمد) جالس خلفها، نفس جلستها، يراقبها، ف كانا الأثنان يجلسان بنفس الوضعية... ثم فجأة من اكتئابها مالت على جنبها، وأخذت تبكي وهى تقاوم ذلك... فرأها (أحمد) يريد أن يهون عليها، ولكنه ليس لديه هذه الإمكانية في عاطفته، رغم تعاطفه الشديد لمن حوله، فأرسل خاطر إلى أحد صديقاته التي لديهن هذه الإمكانية، فجاءته، "ايه يا (احمد)"، فأشار برأسه إلى (ليل)، "ماذا؟"، بقليل من العصبية، فنظر لها قائلا، "وكأنك كنت تفعلي شيئا يعني!"، فنظرت له في انزعاج، فقال لها، "حاولي تهوني عليها، انها جديدة هنا"، فنظرت إليها قليلا، فهي لم تكن لديها هذه العاطفة القوية، على الرغم من عاطفتها أثناء تهوينها على الغير، فهى لا تستطيع أن تهون على أحد إلا وقد شعرت به حقا، من قلبها... ولاتزال تنظر إليها، لا تشعر بشيء قوي، فقالت له، "ما بها يا (احمد)؟!".

فقال لها، "انظري إلى توهجها، كمْ تحاول أن تتماسك، ولكنها يائسة حقا"، فشعرت (تالين) بها وذهبت فورا وكأن عاطفتها حركتها دون تفكير إليها، ثم وضعت يدها بحنان عليها، فنظرت إليها (ليل) وجهها يظهر عليه الحزن والضيق وهى تنظر إليها في غضب، فهي لا تريد أحد أبدا معها في هذه اللحظة، أو في هذه الحياة التي هى فيها، وادركت بالطبع هذا (تالين)، فقالت لها، "لا تيأسي، ف "إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ"، ولا تزال تنظر إليها (ليل) باستغراب، وتكمل (تالين) وهى ما زالت واضعة يدها على (ليل)، "أنا (تالين)، وهذا (أحمد)"، نظرت (ليل)، ولا يزال الاستغراب والاستنكار عليها، وجاءها (أحمد) مبتسما بحنان، ثم جلس، "اسمعي يا... مم... نحن هنا معك...".

وأكملت (تالين)، "وإن شاء الله سنخرج كلنا من هنا، لا تقلقين"، وهنا هدأت (ليل) ونظرت لهم، ثم قالت، "كيف؟"، فابتسم (أحمد) لسماعه صوتها، وقال، "أخيرا تكلمت، أنا قلت لا أحد سيجعلك تكونين أنت غير (تالين)"، فنظرت له ورجعت التكشيرة والعبس على وجهها مرة أخرى، فكمْ تستثقله، فنظر لها وسكت في حرج، وأكملت (تالين)، "سأقول لك، أولا يجب نوصلك إلى ما توصلنا إليه..."، قاطعتها (ليل)، "وهل خرج أحد من هنا؟"، بلهفة سألت، فنظرت (تالين) قليلا ثم قالت، "آآ... يعني".

"ماذا يعني يعني؟".

"آآ..." ... فقال (أحمد)، "يعني... يعني كانوا على وشك الخروج".

"كيف؟"، وكانوا سيجاوبون، ولكنها سألت سؤالا آخر في خوف أكثر، "وهل مات أحد هنا؟".

ردت عليها (تالين)، "لا تقلقين يا... سوف نخرج من هنا"، فنظرت لها في خوف وضيق، لا تعلم أتصدقها؟ على الرغم من إحساسها بهذا، لكن كلامها لا يوحي بالتفاؤل أبدا، فقال لها (أحمد)، "صدقي إحساسك دائما يا...".

"(ليل)، اسمي (ليل)، لتحسبوه الليل أو شيء فإن اسمي (ليل)".

"أهلا وسهلا يا (ليل) تشرفنا بك، فقط كوني معنا، وإن شاء الله سننجى". فحركت (ليل) رأسها في قلق ل (تالين)، وهي لاتزال متكئة على كوعيها في الرمال منذ وضع (تالين) يدها عليها.

ذهبت لتعرفها على باقي الرفاق هم (محمد)، و (عبد الله)، و (باحت)، سلمت (ليل) ورجع لها شعورها بالضعف، أو الخجل الشديد، فنظرت (تالين) إلى

توهجها، "لا بأس، فهنا الكل يتعامل مع بعضه بمشاعره الحقيقية"، وهي تميل عليها وتهمس، فنظرت لها (ليل) وهي تحرك شفتاها، فلم يعجبها الكلام، وقالت، "أنا لا أستطيع أن أتعامل إلا هكذا".

"لماذا؟!"، ونظرت لها باستغراب، مع أن يبدو في مشاعرك القوة، فنظرت لها (ليل)، وقد تغير وهجها إلى عدم الفهم والضيق معا، "لا بأس، لا بأس... أنت فقط تحتاجين لبعض الجرأة لتثبتي نفسك"، فتضايقت (ليل) أكثر، وقالت "تعالي"، وهي تمسكها من يدها وتأخذها بعيد بعد أن أومأت برأسها للرفاق... "أنا لا أملك أي مشكلة في هذا، أنا فقط لا أستطيع... أشعر أن الآخرين سيكرهونني".

"ولو... لا تكترثين لأحد إذا كنت تريدين الخروج من هنا"، فنظرت لها (ليل) أحقا ما تقولينه؟ وشعرت أنها في مأزق كبير، فهي تعلم أن هذه مشكلتها، ولكن لا تعلم لماذا تخاف أو تستحي من الناس بهذا الشكل... فقالت لها (تالين)، "هيا" وهي تمسك يدها لترجع إلى الرفاق، ولكن سحبت (ليل) يدها وهي تجلس ضامة ركبتيها إليها وتقول بحزن، "يبدو أن هذا الأفضل لي، هذا مكاني، إذا لم أكن فيه على راحتي فلا يلزمني مكان آخر"، فجلست لها (تالين) القرفصاء وقالت لها برفق، "لا تقلقين فكل شيء سيكون على ما يرام".

"لا هذا أفضل لي، اذهبوا أنتم".

"ألن تريدي الخروج من هنا؟".

"أنا أريد الخروج من العالم... والانعزال بعيدا... لوحدي، بمفردي"، فنظرت لها (تالين) بأسف، وأكملت (ليل) في لهفة بضيق، "أيمكن ل (وحي) أن تفعل لي ذلك؟".

"(وحي) ليست مهمتها هذا يا (ليل)، يجب أن تفهمي نفسك جيدا".

"أنا فهماها..."، وفجأة وجدت نفسها خارج البئر في المكان الذي اختطفت منه، جالسة على الأرض في نفس الليلة، وهي تضع يدها على الأرض وتنظر حولها يمينا ويسارا، لا تعلم أين هي ومن خوفها وقفت بقفزة، لا تعلم أين هي ظلت تنظر حتى رأت السور خلفها، وعلى آخر الشارع على يمينها الشارع الآخر الذي كان يجب أن يقلها منه أبوها في هذه الليلة، وظلت تنظر... خافت، فالشارع أصلا ظلمة، ووجهت نفسها إلى رأس الشارع

ذاهبة لتركب المواصلات.

لا تفهم ما مرت به، وكأنها كانت في حلم، ولا يزال الخوف والارتباك والحيرة عليها، ليست في هذه الدنيا بسبب هذا، أشارت إلى السيارة لتركب ذاهبة إلى بيتها، ولاتزال لا تستطيع التفكير إلا به، ولكن ما يهون عليها الأمر أنها أخيرا راجعة إلى بيتها، لا تعلم ما الذي سيحدث، أو ماذا سيقول والداها؟! أو ماذا ستكون حالتهم؟! الموضوع يأخذ منها كثيرا، لا تعلم أين ستضعه أو ماذا تفعل، حزينة ومرتبكة... حتى جاءها صوت السائق، "هنا يا ماما؟"... فنظرت له مستغربة السؤال، فسألت وكانت لم تفهم، "نعم؟!".

"هنا ولا أين؟"... فنظرت حولها، "آه، آه... هنا"، وأعطت الرجل النقود، وذهبت وهي تعلم تماما أن الرجل بالتأكيد سيقول عليها شيئا يستغربه فيها، وبالتأكيد سيكون شيء لا يحبذ على الإطلاق... نزلت ونظرت إلى البناية، وكأنها أول مرة تراها، وما زال الحزن والارتباك عليها... صاعدة إلى أعلى (شقتها)، لا تعلم ما الذي يجب أن تقوله... تكاد تنهار داخلها، وبدأ صدرها يضيق، وملامحها تأخذ شكلا أكثر حزنا ومقاومة... لا تعلم... لا تعلم حقا... بكت داخلها... تحاول التماسك... لا تريد أن تتأخر أكثر من ذلك... ولكن لاتزال آثار الانهيار عليها... رفعت يدها بلا شعور تطرق... فزع أبواها، جريا على الباب لفتحه... وهو رؤيتها... احتضنها والدها بقوة... وهى على هذه الحالة لا تشعر بشيء، وأمها

تمسح على وجهها، "ما لك يا حبيبتي؟ أنت بخير؟"، في لهفة وهى تقول، لا تعلم يوجد شيء غريب بها، وكأن شيئا حدث لها... ثم قالت، "أين أنتم كنتم؟"، بصوت غير محسوس باتجاهها، وكأنها في غمرة ما، لم يفهموا الجملة، وهما ينظران إلى بعضهما البعض يحركون رؤوسهم، لا يفهمون ولايزال والدها يحتضن بها، وأمها تمسح على وجهها لا يستطيعون التوقف، حتى جلبوها ليجلسوها، "تعالي، تعالي"، تمسكها أمها من يدها، وأبيها يضع يده على كتفها، وأخيها ينظر لا يبالي ولا يفهم، وهو يضع ملعقة الشكولاتة بالمقلوب في فمه... فقالت أمها، "ماذا يا حبيبتي؟!... ماذا حدث؟!... أحدث شيئا لك؟!".

وهى ترد بهذا السؤال فقط، ونظرتها المعلقة في اللاوعي، وكأنها عادت للتو من حياة لم تكن تعلم عنها شيئا، "أين كنتم؟"... لايزالون لا يفهمون السؤال، وينظرون لبعضهم لعل أحدهم يفهم السؤال، ولكن الأم تهز رأسها للأب وتحرك شفتيها وهى ترفع كتفيها وتفتح كفيها شيئا بسيطا، ويقول الأب المنحنى لها بركبتيه اللذين ثانيهما ثانية بسيطة على الهواء وفارد كفيه عليهما، "أين كنا أين يا حبيبتي؟!"، وهو يمسح على رأسها... "أين كنتم؟".

فصرخت الأم لاإراديا، "أين؟"، ثم انتبهت وحركة رأسها في غضب محاولة التهدئة، "أين يا حبيبتي؟ متى؟"، فنظرت لها (ليل) فجأة، فاستغربت الأم من هذه النظرة، ثم تركتهم وذهبت على غرفتها التي أوصدتها بالترباس خلفها، وهي تبكي، منهارة، لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله، أو ما هذا... تضع يدها على جانبي رأسها، وهي تحرك أصابعها بداخل شعرها بعنف، ثم تستدل يدها بقوة، تتنفس بشكل شديد وهي تجز على أسنانها لا تعلم ما بها، أو ماذا هذا؟!... يخبطون عليها الباب، والأم رغم قلقها على أخيها الصغير من أن يشعر أن أخته بها شيئا ليس جيدا، فهي لا تحب أن يرى أخته بمثل هذا الشكل من الحزن والقلق والفزع، فيجب أن يأخذ عليها أنها قوية وسعيدة دائما، ولكنها ظلت تنادي، "افتحي يا حبيبتي" بقلق بالغ، هي ووالدها، ولكن والدها أقل حدة وأكثر رأفة قليل، "افتحي يا حبيبتي"، بصوت هادئ، رزين... وهي لا تستطيع أن تهدأ... كسر والدها الباب، احتضنها بين ذراعيه، كله، أدخلها بداخله، متقوسا عليها، على السرير، وهو يحرك نفسه، حتى تهدأ... والأخ ينظر ولا يفهم، ولاتزال الملعقة في فمه بالمقلوب، ووجهه مليء بالشكولاتة... وحينما رأته (ليل) هكذا، ذهبت إليه واحتضنته وقبلته كثيرا، وهو لا يزال على اندهاشه وعدم فهمه، وكذلك والداها، اللذان ينظران لبعضهما، وهو لا يفهم أخاها (تائج) ينظر إليها، وهي

تقول له، "ابق هكذا يا (تائج) لا تتغير... أنت هكذا... وستبقى هكذا"، لم يفهم، ولايزال ينظر إليها، حتى أقطب حاجبيه وقال، "أنا لن أتغير"، وهو يبعد يدها في كبرياء، وتحد كأنه عند فيها، فابتسمت، وقبلته، "مع أنها صفة رخمة"، ثم ابتسمت ونظرت إلى والديها، وفتحت لهما ذراعيها، بابتسامة، وأمل، وفرحة، فنظرا لبعضهما فرحين، وجريا عليها الاثنين، احتضنها، وهما مبسوطان، وهي أيضا كأنها ولدت من جديد، وكأن الحياة تغيرت تماما لحياة جديدة، لم تكن تراها من قبل، "أنا بحبكم جدا، يا بابا، و يا ماما"، وهي تقبلهم على وجنتيهم، وهم يحسون بهذه الروح من الأمل، "ونحن كثير، يا حبيبتنا"، وهو ينظرون لها ويمسحون على رأسها وجهها ويقبلونها، وتحتهم ينظر (تائج) وهو لايزال يأكل من هذه الشكولاتة، ولا يفهم ماذا يدور، ولكنه بدأ يشعر ببعض الضيق قليلا، يوجد شيئا مبالغا فيه، كما يشعر... لا يهم، فهاهم الآن يفكون أيديهم من بعضهم، لا يفهم ما هذا ال (over) كما يدور في باله، لكن لا يهم، المهم أنه انتهى من هذا الآن، ولا يريد أن يعرف لأنه (over)، ولا يهم... انتهى من هذا وذهب.

ذهبت (ليل) إلى المدرسة، ونظرت إلى (بتول) بجانب عينيها، مع قليل من الغضب، فنظرت لها (بتول)، ثم جرت عليها، "إيه يا (ليل)! كنت أين البارحة؟"، نظرت لها (ليل) باستغراب من المفترض أنها تعرف، من المفترض أنها كانت معها، ثم قال (بتول)، "أنا تركتك ومشيت مع بابا، لكن أنت ذهبت وحدك... لا أعلم رأيت لك حلما مزعجا جدا يا (ليل)... وكأن (بئر) اختطفك، (البئر)، (البئر) الذي نسمع عليه!".

"أعرفه، أعرفه"، وهي لا تزال تنظر إليها هذه النظرة المشمئزة، ولكن أكثر هدوء... حركت (بتول) رأسها، ثم وضعت يدها على كتف (ليل) سريعا في حركة عفوية، "طيب يا (ليل)، أشوفك أنا إذًا"، حركت (ليل) رأسها، والابتسامة بجانب واحد على وجهها دون أن تشعر، وجرت (بتول) على رفاقها، رجعت (ليل) لطريقها، حزينة مكتئبة، وقد تذكرت أنها قالت لوالدها قبل ذلك أنها لا تريد الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى، في حزن شديد، وقد زاد ذلك من حزنها، أخذت تخبط على الأرض، وفي كفيها على رجليها، وقد قالت لها (الوحي)، "أجل (برافو) جيد لك"، فنظرت (ليل) سريعا خلفها، بجانبها، ثم خبطت مرة أخرى على نفسها متضايقة، وشعرت أنها لا تريد أن تذهب، غير متحملة ، تائهة، لا تعرف ما يجب فعله، لا تعرف أي شيء، ذاهبة في ضيق، واكتئاب شديد.

دخلت الفصل متضايقة، جلست في مكانها، لا ترى أحدا، والضيق على وجهها، تكلم نفسها، بكلام غير مفهوم، تعلم أن (ثائب) يجلس في صف الأولاد خلفها، لم تنظر إليه، ولا تريد، أحيانا تنساه تماما، ولكن حين تراه، لا تعلم أصلا أنها نسته، هي فقط تعلم أنها تحبه في هذه اللحظة التي تراه فيها، ورغم إنكارها الدائم، المتزايد لهذا الوضع، إلا أنها لا تستطيع إبعاده عن تفكيرها، حينما يكون أمامها... حتى جاءتها فكرة، أنها أخذت بالها أنها لا تتذكره حينما يكون بالها مشغولا بمراقبة الآخرين، لا تعلم... لكنها تكره الملل... وتشعر دون وقت عندما تراهم، والمفاجأة أنها وجدت نفسها تحللهم، دون قصدها، بكل براءة الأطفال إذا رأت تصرفا لم يعجبها، أو إذا رأت تصرفا أعجبها... أو إذا تساءلت واستغربت بعض أفعالهم... جالسة... دخل المدرس، قاموا له الطلاب، ألقى عليهم السلام، ردوه، ثم جلست والضيق، يزداد... ثم قررت وهى في مكانها أنها لن تذهب إلى هذه المدرسة مرة ثانية، وهي تحفر بيدها على الديسك الخشبي، وفجأة قامت متضايقة أكثر، تنظر للمدرس بضيق، يصل إلى الكره، بعد أن خبط يده بقوة على الديسك، لتقوم هي من عليه، في حركة مفاجأة لاإرادية من شدة فزعها، قائلا، بصياح عال، "يا (ليل)، إيه ركزي". ثم نظرت له بهذا الكره، وأخذت حقيبتها

وذهبت... قالت لها (وحي)، "أجل، (برافو)"، زعقت (ليل) في انهيار، "اسكتي، اتركيني بحالي"، وذهبت غاضبة... والكل ينظر إليها باستغراب، لم تر هي أحد فيهم... ذهبت بكل الغضب الذي في الدنيا، تكاد عيناها تدمع، بل تدمع بالفعل، تبرطم بكلام غير مفهوم، تقفز لا تعلم لأين، وهي تحرك يدها بسرعة، تنظر إلى الأرض، لا ترى أمامها، حتى كادت السيارة أن تدهسها، لولا أنها توقفت بالمكابح على آخر لحظة، تسمع بعض طنين الرجل الذي كاد أن يشتمها، وهي تذهب لا تستطيع رفع نظرها من على الأرض، والسكوت مما هي فيه.

ذهبت إلى والدها وقالت له في غضب، "أنا لن أذهب إلى هذه المدرسة ثانية"، غضب أبوها منها، ومسكها من يدها بقوة، وهو يخرجها خارجا، قائلا لها بصوت منخفض حادا فيه تأديب، "روحي الآن، وسوف نرى هذا في البيت... ولي تصرف معك آخر... هيا"، وهو يدفعها قليلا، حتى قررت الذهاب... لم تعثر غلى صديقة واحدة... ثم قررت أن تذهب إلى مكان البئر مرة أخرى لعله يبتلعها، مرة أخرى، لكنها شعرت أن المشوار طويل، والجو حار اليوم، كمزاجها، فقالت إنها ستذهب إلي خالتها (باهرة)، وتتمنى أن لا تبهرها إلا بإسعادها، كما قالت في نفسها، وقد ضحكت مما قالت ضحكة

خفيفة، وقالت ستتخذها لها، عليها اسما... ذهبت إليها، "أهلا يا خالة"، بلا مبالاة ترفع يدها... تنظر إليها خالتها دائما هذه النظرة في استغراب من فعلها هذا طوال الوقت، ثم أمسكتها من قفاها، وهي تقول لها بعصبية مرحة، "أنت يا فتاة، أنت... لن تتعلمي الذوق إذًا؟!"... ضحكت (ليل)، وبدلع ودلال، "أنت عاملة إيه، يا خالة أنت، أنت الأجمل والله"... "حبيبتي"، واحتضنتها... "أولادك عاملين إيه هم أيضا (عبد الرحيم) و (أمين) و (محمود)؟".

"جيدين يا ختي الحمد لله... أهم يجنون خالتك"... ضحكت (ليل) كثيرا، "آه لاء ربنا معك"، ضحكت الخالة كثيرا، "عندك الثلاجة، افتحي لتأخذي منها ما تريدين"، وهي تفتحها، "أعلم، اعلم يا خالة... كيف حالك وحال عمُ (أحمد)؟".

"الحمد لله... بخير يا حبيبتي"، وبعد ما انتهت من وضع ما بيدها، "أنت جئت من المدرسة على هنا؟!".

"لاء أنا مشيت من المدرسة"، خبطت على صدرها، وقد تفاجأت (ليل) من ردة الفعل، "مشيت من المدرسة؟!".

"ما هذه المبالغة، كالناس الفلاحة... نحن لا نفعل ذلك يا خالتي، ما لك؟ أم عمُ (أحمد) بهت عليك"، ضحكت خالتها، وضربتها، "اسكتي يا فتاة"، ضحكت (ليل)، وقد كانت تحكي لخالتها كل شيء، ما عدا (ثائب) فهي تركت

الموضوع، حتى لا تحكيه لنفسها، قائلة، "لاء يا خالتي، الصراحة أنا لا أريد أن أذهب إلى هذه المدرسة ثانية".

"لماذا؟ فهذه مدرسة جيدة، رفيعة المستوى؟".

"أعلم، ولكن...".

"ماذا يا حبيبتي؟".

"لا شيء... لا عليك يا خالتي... أنت كيف حالك؟".

"الحمد لله يا حبيبتي!!..."، ثم نظرت في استغراب، "ما بك يا حبيبتي؟"... ثم دخل هنا (عبد الرحيم) الابن الأكبر، الذي يبلغ من العمر سابعة عشر سنوات... "لا شيء"... "كيف حالك يا (لي...)، يا (عصر)"، ضاحكا.

ضربته (ليل)، "أنت لا زلت رخم مثل ما أنت"، احتضنته (ليل)، ولكن جاء صوت خالتها من ورائها وهي تفصل بينهما، "ممءة... لم تعودوا صغارا بعد الآن... الموضوع انتهى... (ليل) الآن في الرابعة عشرة سنة..."، وهنا خجلت (ليل)، "وأنت في السابعة عشرة من عمرك الموضوع انتهى". فحرك (عبد الرحيم) وجهه في غضب، "لعلي أتزوجها في يوم من الأيام"، فضرباه هما الاثنان، "آه... ماذا؟!"، وهو يمسك كتفه إثر ضربة أمه، في دخول الفرد الثاني من العائلة، "(ليل)، كيف حالك؟"، بفرح... وذاهب ليحتضنها، فضربت يده أمه أيضا، وبنفس الصوت، "ممءءة..."، نظر لها في

استغراب، وتكلمت في صوت واحد هي و (عبد الرحيم)، "أمك لا تريد أن يحتضن أحد (ليل) بعد الآن"، وهي تقول، "خلاص كبرت"... وهنا خجلت (ليل) من كلمة (عبد الرحيم) الذي أردف، "لعل زوجها فقط هو الذي يحتضنها". وهو يذهب بعيدا، فأسرعت الأم من هول المفاجأة، فهي لم تتوقع أن ابنها يقول مثل هذا الكلام، أو يفهم مثل هذا الفهم، "أنا سأربيك يا قليل الأدب"، وهي تعلي صوتها وتصيح... و (أمين) محرج، وهو يكتم فمه على بعضهما، و (ليل) ستموت من الخجل مما قاله، ناظرة (باهرة) لابنها الآخر (أمين) وهو في هذه الحالة، "ماذا أنت الآخر؟"، فذهب جري، الذي كان يبلغ من العمر خمس عشرة سنة، "لعل الآخر لا يأتي هو الآخر ليحتضنك ويكمل المسيرة"، فضحكت (ليل)، وهي تقول "الآخر صغير اثنتي عشرة سنة... أين هو صحيح؟".

"اثنتا عشرة سنة وتستهينين بهم! تلاقيه مع أبيه... فهو عندما يتأخر هكذا يكونون مع أبيهم".

"ألا تتصلي به يا خالتي؟!".

"لماذا أتصل به؟! ستلاقيه هنا أو هنا مع أبيه... الآن ستلاقيه ناطت علينا كالقرد"... ابتسمت (ليل)، وقد استغربت خالتها كثيرا، وتضايقت منها في نفس الوقت، فشعرت انها نزلت من نظرها قليلا، لهذا... وذكرتها

بوالدتها، لا تعلم كيف هذه العائلة هكذا؟! وكيف كانت جدتهم معهم؟! هذا أمر عجيب... وبدأت تكره قليلا أو تبغض هذا فيهم... وقد شعرت أنهم لا يستحقون أن يكونوا لهم ولد... فقالت لها (الوحي)، "لا، هذا غير صحيح... لا تقولي لأحد أو على أحد لا يستحق القدر، انه قدرا، انه من الله تعالى".

صرخت (ليل) وهى تقفز، وكأنها تنفض شيئا من عليها، "اسكتي"... نظرت لها (باهرة) بصدمة، هي و (عبد الرحيم) الذي جاء من الداخل ينظر ماد رأسه في استغراب من الأمر، و (أمين) الذي أطل برأسه لا يفهم ما الأمر، لدرجة أنه شك في أمه بأنها فعلت شيئا لها... "ماذا يا حبيبتي؟! ماذا؟"... لكن عندما رآها تسألها تاه في الأمر، وانصدم واحتار... وهو ينظر... أخذت (ليل) حقيبتها، وذهبت... لا تعلم لأين... في غضب عارم...

حتى وجدت نفسها مرة أخرى في البئر.

وجدت نفسها مرة أخرى في البئر، فرحت قليلا وجلست على الشاطئ واضعة ذقنها على ركبتيها اللاتين ضمتهما على بعض إليها، وعليهما كفاها اللاتين تضعهما فوق بعضهما، تشعر بسلام، وتفاؤل، وتشعر أنها لا تريد أن

تترك المكان هنا أبدا، ولكنها تذكرت آخر مرة تركت بها المكان كانت تمنت هذا، لذلك انفضت دماغها من هذا محاولة أن لا يظهر عليها، ولكنها تذكرت طاقتها التي فوقها، قائلة، "أوف"، وهي تميل على ظهرها نائمة على هذا الرمل الأبيض الجميل التي تشعر أنه غير لاصق على الإطلاق بل هو جميل حقا، وتشعر بحرية شديدة لفعلها هذا، هنا، وتكمل، "لو كانت هذه فقط غير موجودة، لكان أفضل، من الممكن أن يعيش الفرد هنا في سلام هنا أفضل بكثير"، ثم قالت فجأة، "لا، لا، أنا لست مستعدة للخروج، أنا لا أستطيع التعامل بعد... وأنت ابتعدي عني..."، رآها أصدقائها من بعيد وهي تكلم الفراغ من حولها بغضب وخوف، وحزن، مستغربين الأمر، وفي نفس الوقت أحزنتهم مشاعرها، قائلين بعد أن أمسكتها (تالين) بحب من كتفيها، وقال (أحمد)، "أهلا يا (ليل)"، ناظرة لهم بتعجب، واستغراب شديدين، وجدت نفسها تحتضنهم، ثم رفعت يدها سريعا من على أحمد والباقية، وتذكرت، وزاد هذا من أحد مبادئها، فرفعت (تالين) رأسها وقالت، "شكلك قربت تخرجين من هنا ثانية"، وهي تنظر فوقها، ثم نظرت (ليل) فوقها في خوف، "لا"، ثم بكت، بكاء شديدا بحزن ويأس شديدين، "أنا لا أستطيع أن أتعامل خارجا... لا أستطيع"، واستمرت في البكاء، وهي تجلس على ظهر الرمال، وتبكي واضعة رأسها خلف كفيها، وتبكي غير

راضية أبدا عما هي به، وتقول، "لا، لا... أنا لا يجب أن أكون هنا... أقصد في هذه الدنيا، فهذه الدنيا ليست مكاني"، وهي تبكي...

"لا تقولين ذلك يا (ليل)، فأنت أفضل من هذه الدنيا"، نظرت إليها (ليل)، ونظرت إليها (تالين) في رفق، "لا بأس يا صغيرة".

"أنا لست صغيرة يا (تالين)، ما بك؟!"... وبدأت علامات الغضب تظهر على وجهها، غير محتاجين لهذه الطاقة التي زادت احمرارا واشتعالا فوقها...

"حسن، حسن، أهدئ (actually) أي حد هنا في هذه البئر يدعى (صغير)... أترين ذلك الرجل هناك"، وهي تشير لها، وإذ تفاجأت (ليل) برجل كبير في السن جدا، وشعرت حقا أنه كيف له في هذا العمر أن يكون هنا، "أجل"، بكل ثقة... ثم فجأة تغيرت، ملامحها، مع طاقتها، "لعله لم يخرج من هنا أبدا".

"ومن قال لكِ إنكِ تخرجين بسن أكبر!".

"نعم؟!".

"أجل، أنت لا تكبرين يا عزيزتي".

"ومن يموت؟!".

"يخرجه البئر فقد انتهت حياته".

"انتهت حياته؟!".

"أجل، فقد انتهى، ولا يبقى له شيء في الدنيا، ما أنت تعلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهي لا تزال تنظر للرجل، الذي فجأة نظر إليها، فخافت كثيرا، وتذكرت أن مشاعرها بائنة، والتي حاولت أن تخفيها بتحولها، ولكن لم تستطع حدث اضطراب شديد، "أهدئ، أهدئ، لا بأس"، وفجأة شعرت أنها تريد أن تدخل تحت جناح (تالين) والتي فعلته، وهي ترتعش، "اهدئي، اهدئي... لا بأس، لا بأس"، علمت (تالين) ما تحتاجه (ليل) من اهتمام، واحتواء وبعض العطف، "اهدئي، اهدئي"، ثم أخذتها وانتقلت بها إلى مكان أخضر أكثر هدوء، ثم قالت، "لا بأس، لا بأس، اهدئي"، و (ليل) تنظر إلى المكان الذي أبهرها بجماله، وأرادت أن تعرف كيف تنتقل هكذا مثلها، وقد زاد حبها للمكان، وهي تنظر بحب مبتسمة... وأكملت (تالين) قائلة، "والذي يأتي هنا لثالث مرة تكون الأخيرة له"، لمعت عينا (ليل)، "لكن لا تفرحين هكذا... أتريدين مثل الحاج (أحمد بابا) سيموت هنا... شهقت (ليل) وهي تضع يدها على فمها..." آه... "، احتارت من أمرها... فقالت لها (تالين)، "لا تخرجين..."، ثم تذكرت أن القرار بيد البئر أو (الوحي) الخاص، "اسمعي..."، وهي تخفض صوتها... وتنزلها قليلا إليها، "كلنا هنا فاضل لنا مرة واحدة... وما علمته من المعلمة (سارة) أنه يجب أن تصاحبي (وحيك)"...

"المعلمة (سارة)!... وأصاحب (وحي)!!"... شعرت أنها ليست مستعدة لهذا، فجلست على الأرض في إحباط ويأس، وهي تبكي قليلا، "لا أستطيع..."، زاد بكاءها قليلا، "لا أستطيع..."، ثم بكت أكثر وهي تحتضن (تالين)... ربتت عليها (تالين) وقالت، "لا بأس، عندما تكونين مستعدة"، ثم تذكرت كيف نقلتها (تالين) إلى هذا المكان، وفي حماس وفرح شديدان قالت وهي تربع فرحة، "قول لي كيف انتقلت إلى هذا المكان؟".

"حسنا... فقط ركزي..."، وهن واقفات... والباقية واقفة فقال (محمد)، "ركزي على أفضل مكان تحبيه أنت"، بنغمته المثيرة للاهتمام، الذي شعرت (ليل) وكأنها تريده أن يتكلم على طول، والذي أثارت ألوانها التي فوق رأسها، ناسية هذا الأمر، فضحك (محمد)، وقال، "فقط ركزي"، وهي مغمضة العينين، فابتسمت لسماعها صوته، فذهبت سريعا إلى هذا الصوت الذي أوصلها إلى هنا، "صوت من؟"... "آه... لا"، أنه صوت (النعاس)، "لا، لا، لا"، فذهبت سريعا، أسرع مما كان إلى صوت الهواء، قائلة لها (تالين) وهي تمسك يدها بصوت عال، "ما هذا يا (ليل)؟!!"، والهواء يكاد يطير وجهها من على رأسهما، فذهبت سريعا إلى هذا المكان السحري الملون بألوان الباستيل الهادئة، الذي أخذتها به (وحي) قبل ذلك... فأدركت (تالين) هذا وقالت وهي تهمس وتأخذهم بعيدا وتضع إصبعها على فمها، "هشش"...

وتأخذهم برفق إلى مكانهم... وتركت (ليل) لوحدها، لعلها تستدعي (وحيها)... الذي يبدو عليه شديد قليلا

عليها... ولكن لا بأس فكل (وحي) يعلم تابعيه جيدا فهو هم في الأساس.

ذهبت تجول بنظرها هكذا حولها، وحنت لأيام (الوحي) وأوقاتها حين كانت تعرف كيف تسعدها، ابتسمت في حزن، ثم جلست القرفصاء، جلستها المعتادة عندما تكون حزينة، واضعة يدها حول ركبتيها، وساندة ذقنها عليهما.. وهى تقول لنفسها في حزن، "فقط لو أعلم كيف أتعامل مع الناس! هم فقط.."، ثم تذكرت من من الممكن أن تكون على حالها، (هي) مع نفسها، معهم.. وتذكرت أنهم هم من كانوا معها حينما اختطفها (البئر) في كل مرة.. تذكرت هذا ووقفت وهى تنظر حولها بذهول وتقول، "لماذا (البئر)؟!!.."، وتفكر، وتقطع كلامها، ثم نظرت حولها، وشعرت انها مستعدة فقد فهمت الأمر.. وبها حماس عالي، جعل طاقتها تشتعل اكثر لمسافات بعيدة فوقها لدرجة أن يراها أي شخص من بعيد، كالشعلة.. ازدادت حماسا أكثر بأنها تقدر، وتعرف .. ومستعدة بكامل قوتها.. تذكرت مدرستها فخبت قواها.. وظهرت علامات الاسي عليها.. ثم قالت، "تعرف ما

يجب فعله"، في حزم شديد.. "قليلا من الصبر.. ثم قليلا من الحزم، لا، بل كثيرا من الحزم"، ثم فجأة وجدت نفسها على سرير خالتها، يحاولون تهدئتها وإفاقتها.. وحتى قامت مفزوعة، فجأة وكأنها نجت من الماء.. فزعن كل من حولها، وذهبن إليها في خوف.. كانت قد وصلت مامتها وأباها.. وهم ينظرون إليها في خوف شديد.. نظرت إليهم لم تتذكر بعد.. ثم فجأة قفزت من مكانها، نظرت إليهم، حاولت أن تداري الأمر، ولا تكبره كالمرة السابقة، التي شعرت بها انها ليست نفسها، قائلة، ولا تعرف أن تداري جيدا، هذه المحاولات التي يكون المرء مكشوفا فيها، ولكنها قررت ان تنسى ما حدث حتى تستطيع أن تداري جيدا، "ايه يا خالة، ما أخبار (محمود)؟ أينفع أن احتضنه بعد؟".. ضحك الجميع بما فيهم أمها وأبوها، وضحكت معهم، ثم اخذت تقفز قفزات وهى جالسة نصف جلسة تستند بيديها على المرتبة وترفع نفسها زحفا حتى وصلت إلى حافة السرير، وأنزلت رجليها اللتان كانتا مرفوعتان بسبب ارتفاع السرير، ثم قفزت بمرح ترتدي شبشب خالتها، والذين كانوا مبتسمين جميعهم، وكأنه عيد بعد مشقة، في أمسية

رائعة، كانت فيها (ليل) على حالها لأول مرة منذ زمن طويل، ولزمن أطول من باقي أزمانها.

ذهبت مع أمها إلى البيت وتركهم، أبوها للشغل، ثم قالت وهى تترك يد والدتها، "أين ستذهب؟"، في حنان... ثم تركهم بعد أن مسح على شعرها، وقال لها، "أريدك أن تلبسي الحجاب"، استغربت (ليل) مقطبة ناظرة إلى أسفل، "ما هذا؟!!..."، ثم تذكرت والدتها التي نظرت إليها وهي تفكر كيف تزوجت أمها شخصا مثله، كيف لأبوها هذه الشخصية العجيبة أصلا؟!! جاء في بالها أنهم من الذين يتعالجون صحيا وذهنيا، لأنهم غير طبيعيين في شخصياتهم، ولكن لم تقل لها أبدا، وأبعدت هذا عن خاطرها، ونظرت لوالدها فاختلاف شخصيته تحبه، ولكنها نظرت لوالدتها الثانية، كيف لها أن تتزوج شخصا مضطربا الشخصية مثله ولم يكن حبا، بل كان زواج (صالونات)، ثم نفضت الموضوع عن دماغها لكثرة تفكيرها به وهي تقول لنفسها ناهية الأمر، "أصلا

كيف لواحدة أن تتزوج واحد اسمه (بابكر)؟! يلا مع علينا"... ثم قالت، "يا بابا، أنا كنت أسألك على شيء آخر... خلاص، خلاص، لا يهم"، ثم تذكرت، "ألا تريد

رفقة؟"، وقد شعرت أنها نفس أبيها، "يا للهول"، أهكذا يكون الأمر، نحن نُفهم خطأ... ثم قال، "إذا أردت رفقة سآخذ أمك"، كم جرحها هذا التعبير، "أنه ليس تعبيرا، بل إجابة".

"حسن، حسن، اهدئي"... كمْ جرحتها تلك الإجابة، وقد أخذ برأس أمها يقبلها من فمها، كمْ خدش حيائها والداها، وكمْ كرهت منهم ذلك، والتي تمنت أن تدخل (البئر) للمرة الثالثة كي لا ترجع منه أبدا... وأخذت عهد على نفسها بذلك.

جلست، "والخوف بعينيها"... "طب اسمعي يا ختي!"... جلست "والخوف بعينيها"... "ت"... "خلاص، خلاص، اصلي لا أقدر، ههه"... "هه... استغفر الله العظيم"... "خلاص، خلاص، أكملي... أنا جلست وبعدين"... "ماتخلنيش أحلف...".

"خلاص، خلاص... انت خلقك ضيق".

"جدا، ماتستفزنيش".

"طب خلاص، انت بتقبلي الهزار، أنا أعرف هذا عنك".

"حقا! وتعرفي ايه بقا عن نفسك؟".

"كثير... أنا سأقول لك".

"اسكتي، وخلينا نكمل".

"طيب، تفضلي"... "شكرا، يا ختي!"... جلست، "والخوف بعينيها... لا، هذه مني المرة دي"... "ههههخخخخهههيييه"... (ابتسمت)، "لنكمل"... جلست الخوف بعينيها حقا، لا تعلم أيجب عليها حقا انت تنفذ ما عهدت نفسها عليه، أم تحاول أن تتعايش هنا، (تتعايش) انتبهت لهذه الكلمة، "فهذه الكلمة في حد ذاتها دليل على أنه ليس مكاني"، أغمضت عينها، وتمنت أن تنتقل لمكان أفضل بخيالها، فهناك في (البئر) كانت تفعل ذلك، رغم انها من الممكن أن لا تحتاج ذلك هناك بعد ذلك، ولكن، وهنا لا تستطيع، "استغفرك ربي... لكن، لكن أنا لا أستطيع أن..."... "(ليل)"، قاطعتها أمها، حركت فمها، ونفثت، "نعم يا ماما؟!".

"تعالي"... راحت إليها تائهة، مختنقة، "نعم؟".

"ماذا في يا فتاة؟ ماذا بك؟ هذه قلة الصبر والأدب معا، والاخلاق معهم أيضا، تملكين مجموعة قليلة من المهم أن يكثر منه"، ضيقت عينيها، "نعم يا ماما؟"، امسكتها من ردائها، وانزلتها واطلعتها بقوة، "اسمعي يا فتاة، عندما اقول لك أو اناديك تتعاملي بأدب، تتعاملي بماذا؟"

"بأدب... نعم؟"، وهى تبكي قليلا من غضبها، وزهقها.

"اسمعي، ذاكري لأخيك، لأن امتحاناته على الأبواب".

"طب ما يذاكر لنفسه".

"ذاكري لأخيك يا بنت".

"طب ما تذاكري له أنت".

"هيا يا بنت".

"أنا ليس لدي وقت فراغ لهذا، أنا أيضا لدي امتحانات" ... "آه، وأريد أن أطلب طلبا، أريد أن انتقل إلى مدرسة جديدة، بما أني سأنتقل إلى الثانوية".

"لماذا؟! فهذه مدرسة (international)؟!".

"لا أحبها"، وهي تضيق في عينيها...

"حسنا، وأين تريدين أن تذهب؟"، وقد أمسكتها من شعرها من غيظها، وهي تتحرك في يدها، "أي مدرسة أخرى... من الممكن أن تكون (international) أيضا، أو تجريبية، أو خاصة"... فتركتها بعد أن أدركت هذه الخيارات، ثم قالت، "ولماذا تريدين تركها؟".

"أنا فقط لا أريد... أريد أن أغير.. أرى أناس جديدة".

"مم"، ولأن أمها تحب التغيير دائما لتجربتها لكل شيء، "حسنا، فقط اجلبي، أعطيني درجات عالية، وإلا سأدخلك أدبي".

"يا ماما أنا عالمة، رياضيات"، فهي اختارتها، لكرهها، وإجبار نفسها على المذاكرة في بعد ذلك، وإلا ستفشل، يعني يا (الدار) يا (النار)... فنظرت لها والدتها باستكبار، غير معجبة بالكلام، الذي تراه مبالغا فيه، "حسنا، لما نشوف... روحي ذاكري لأخيك، وبعد هذا ذاكري لنفسك"، فعلت هذا أمها لإجبارها على العمل طوال الوقت، فلا داعي للكسل، فهي لا تحب أوقات الفراغ، فهي لا تحب تضييع، وإهدار الوقت، وترى أن هذا الوقت نعمة من الله -عز وجل- علينا، وصحتنا النفسية والعقلية والذهنية والجسدية أيضا لاستغلاله، "وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"، هذا شعارها في الحياة، لذلك هى لا تحب أن تهدر أي شيء في حياتها، "لماذا أضيع وأهدر وقتي فيما لا يفيد، بل انيل ، في الفراغ، في لا شيء!"، وترى أن الإنسان هكذا أقل من الحيوانات الذين لا يضيعون وقتا بتاتا، بل وقت راحتهم مفيد أيضا لهم ولأجسادهم، وليعملوا أيضا باقي الوقت... فقالت، "يا ماما"، وهي تتنهد ضيقا.

"يلا، يا بنت روحي"، وهي تشير بيدها إلى هناك، فذهبت (ليل) وهي تدب برجليها في الأرض وتحرك يديها معها، وتنهد... "تعالى، يلا"، وهي تمسكه من ملابسه تجره.

"مهلا على أخيك"، والأخرى تنهد، وتنهق...

" نهقي، نهقي مثل الحمير، من هنا لثاني يوم"...
صرخت (ليل)، فجاءتها أمها تضربها على فمها، وأمسكتها من شعرها حتى كاد أن يخرج في يدها، وهي تتوجع، "آه".

"هش ، اسكتي ولا نفس، تريدين الناس أن تسمع أصواتنا، أنا وأختي وماما عمر ما حد سمع إلينا نفس، لو فعلت هذا ثانية، أنسي كل شيء، كل شيء نعاملك به معاملة حسنة"... بكت (ليل)، "ربنا يأخذني أفضل منكم"، صفعتها والدتها، وشدتها هذه المرة من شعرها بقسوة عفريت من الجن ليست بقسوة إنسانة وكأنها لا تشعر، حتى خرج حقا بعض الشعر في يدها، وتحاول (ليل) أن تصعد معها وتنزل وهي تمسك رأسها التي لا يدور فيه شيء إلا إسكات الألم، وتمنيه أن تهدأ أمها عن هذا، حتى سمعت صوت الباب وكأنها صحوت من غيبوبتها أو سباتها، ومنذ هذه اللحظة كرهت (ليل) أمها، التي علمت بها قسوة لا توجد في بشر، كيف أعطاها هذا الفعل الشنيع بفعل هذا وتعذيبها بهذه القسوة، وهي تبكي مرغمة، خرجت إلى الشرفة حتى لا يراها والدها التي تكره أن يراها ضعيفة، فكمْ يعشق هذا بخدش حيائها هي وأخوها، اثنان مضطربان وجدا بعضهما، طبيعي أن يكونا في تلك الحالة، لكن... لكن وما ذنبنا نحن، على

الأقل أخاها مدلل كثيرا، وحمدا لله أنها لم تلد مرة أخرى، وتتمنى أن لا تفعل، رغم خصوبة هذه العائلة العالية، كانت شرفتهم نعمة من الله كما كانت تدعوها، وتشعر أنها ما تهون عليها ما هي به دائما، فقط كانت تطل على المقاهي، والحفلات التي على بعد مئة متر، وكأنها تسكن في ليالي رمضان دائما، وعندما يأتي رمضان يزيد الأمر سعادة وبهجة وانشراحا، الشهر الذي تشعر بأنه أيضا نعمة كبيرة من الله تعالى يجبر به خاطر كل من كسر خاطره، لا، بل هو خاطر جديد ليس به إصلاح بعد... والهواء العليل على شرفتها التي يزيد هذه البهجة التي أمامها والهدوء، مرحا وسلاما أكثر... وأخذت بعضها ونزلت تجلس في هذه الليالي قليلا التي دائما ما تجلس بها، خصوصا أنه يوجد مكان للعامة بها، وكلها هذه الأنوار المبهجة الهادئة المعلقة، تعطي للمكان رقيا كأنه حفل زفاف مليان بالبهجة، يجعل كل من في المكان لا يتشاجر ولا يتجادل، فقط يمرحون، حتى مرحهم يكون بهدوء ورقي مهما كانت طبقتهم، -سبحان الله-.

نزلت سريعا تجلس في أحد المقاهي، جالسة تفكر، واضعة الإبهام والسبابة بين شفتيها الغليظتين تقريبا ولكن ليس بشكل مسيء بل هما مرسومتان ولكنهما

غليظتان تغلظ ملحوظ، لذلك لا تحبهما، لكنها تحبهما بالحمرة الكورية الخفيفة التي تعطي لونا وكأنه طبيعي، فهي ترى هذه أفضل ميزة عليها شفتيها، لأن هذا ال (make up) الكوري لا يليق على الشفاه الرفيعة التي لا تحبها أيضا، فهي تحب الشفاه الهندية، ولكنها تحبهما أيضا مع الألوان الغامقة التي وضعت من قبل وانتبه لها جميع الفتيات، والتي ارتبكت ساعتها لإحساسها بهذا الاهتمام وهي لم تكن من قبل محور الاهتمام أو محور أي شكل، ولم تستطع التعامل بأي شكل من الأشكال، والتي لا يليق أيضا بالشفاه الرفيعة، رغم أن الشفاه الرفيعة تضفي جمال كما تراها على الإنسان، ولكنها تكرههما لعدم استطاعتها اللون الأحمر عليهما، فهو يبزرهما غليظتين جدا، وتخجل من وضعه لهذا، فحركت رأسها، وهي تفكر ناظرة إلى اللامبالاة، جاءها النادل، "تفضلي يا فندم"... حركت رأسها، وقررت أن تكون هي لعل وعسى يأتي (البئر)، ولأول مرة، لا تعرف ذوقها، لا تعلم، لم تختبر نفسها من قبل، ظنت أن ليس لها ذوق، ولكنها تذكرت قولها، "افعل ما أشعر به"، "لكن ما هذا أنا أشعر بالكثير، حان وقت الشورة"، ولكنها أحرجت فقالت وهي تنظر للقائمة ثانية، ونظرت له بخجل، وهي تضم السبابة والإبهام بطريقة ذليلة قليلا، فهي لا تطلب من أحد شيء، ولم تطلب من قبل لإحساسها دائما بأنها غير مرغوب فيها، وبها، حتى لا

تستطيع فعل ذلك، وهي ترفع عينيها ببطء كأنها فعلت ذنبا ما، وبصوت منخفض آثم، مترج، ذليل، "ثانية"، حرك النادل رأسه ولم يبد عليه الإزعاج، واستغربته (ليل) في هذا، ونظرت ثانية إلى القائمة، وهي تنظر إلى كل نوع في القائمة بسرعة شديدة وترى شعورها حتى أصبح شعورها ناحية المانجو بالخوخ أقوى، وهى تنبهر من نفسها طبيعي فأنا أحب الخوخ والمانجو كيف لم أعرف هذا في نفسي فالموضوع سهل وواضح تماما، تري ما تحبين حتى تعلميه، دون تكملة في باقية القائمة، بصوت خافت ولكن أكثر ثقة قليلا ب ١ % "أنا سأختار خوخ بالمانجو".

"تريدين أي شيء آخر حضرتك؟".

"لا، شكرا"، حرك النادل رأسه، وذهب، وهي قاعدة مرتبكة، تقضم في أظافرها، فهي لم تتعامل مع أحد من قبل، وهي تحرك قدميها في توتر، تتمنى لو يأتي هذا البئر حينما تريده وتنعم بوحدتها معه، انتبهت لكلامها، ووقفت وهي ممسكة بذراعي الكرسي وتنظر يمينا وشمالا بريبة منتظرة أن يأتي (البئر)، والناس تنظر إليها مستغربة، لم تنتبه لردة الفعل هذه، ولا لما فعلته، انتبهت إلى أنها ليست في (البئر) الآن... شعرت بالضيق والحزن جالسة واضعة ظهر يدها على خدها وتريد أن تنتحر حقا، لا تريد أن تبقى في هذا المكان أبدا، وضعت

كفاها على وجهها راكضة تبكي، لا تريد أن تذهب إلى أي شيء، فقط تريد (البئر) ذهبت إلى الجامع وقد كانت صلاة الفجر، لم تنتبه حتى أذن المؤذن، حتى أنها لم تنتبه إلى أي صلاة يؤذن لها، ت انتبهت إلى الميعاد والوقت، "آه يا للهول، سيقتلني والداي، يا ليت (البئر) يختطفني الآن ونخلص"، ثم كادت أن تنادي عليه، "أين أنت؟ أين أنت؟"، ولكن خافت ليحسب الناس أنها مجنونة، ولو أنها ستنتهي بذلك، هي تعلم نفسها، قائلة في نفسها بسخرية مميتة، ثم ذهبت إلى الجامع، سجدت، لا تعلم لماذا، ولكنها شعرت بذلك، ثم قامت جلست في ركن تبكي لوحدها ضمة ركبتيها إليها وحوطتهما بذراعيها، وواضعة وجهها عليهما تتنهد وتشهق في البكاء، وبدأ صوتها يعلو لا تستطيع التوقف، حتى سمعها أحدهم، صعد إليها، طرق الباب، مستغربا من الأمر فلا يوجد نساء يصلين في هذا الوقت! أطل برأسه في حذر وحرج، نظرت له وعليها علامات البكاء، سألها الشيخ، "أيوجد شيء ما يا فتاة؟!".

حاولت التماسك وهي ترد عليه، "لا، لا شيء، أيمكنني أن أصلي هنا؟".

"بالطبع، أين أبوك؟ هل أبوك يصلي معنا؟".

"لا... لا أعلم... ربما... أنا فقط جئت هنا لأصلي، أنا ساكنة هنا"، وهي تشير أمامها.

"هنا أين؟ أمام المقاهي؟".

"أجل"

"حسنا، سأبعث أحدهم لإيصالك بعد الصلاة".

"لا، لا داع، فالمكان حيوي ودائما يشتغلون، والناس لا ينامون، حضرتك تتعلم".

"حسن، حسن، ولكن حتى اطمئن، سأقابلك بعد الصلاة".

"لكن... لا داع..."... تركها وذهب وقبل أن تكمل جملتها، تضايقت كثيرا، "يا ربي، ها... هذا أحسن من لو ظهر العكس، الحمد لله"، ذهبت لتتوضأ وتصلي السنة قبل إقامة الصلاة.

انتهت من الصلاة، وكانت لا تريد أن تذهب مع هذا الرجل، "لماذا يتدخل الناس في حياة الناس؟! هف"، ثم ذهبت أو هربت قبل أن يراها، وذهبت جلست على الكافيه مرة أخرى، لمحها النادل، "آه، يا للهول"، وأحرجت كثيرا، لكنها قالت في نفسها هي تعمل ما تراه، وهذه قاعدتها ومبدأها في الحياة بعد ذلك (هي حرة)، كما أن مبدأ أمها "وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"، الآية الوحيدة من سورة البقرة التي تحفظها بعد الخمس آيات الأوائل، بسبب قولها لهم طوال

الوقت، هي أيضا مبدأها (أنها حرة)، قال لها النادل بأدب وكإن لم يحدث شيء، واستغربت كثيرا من ردة الفعل هذه، التي غيرت كل تفكيرها ١٨٠ درجة مبدئيا قبل كل شيء، ووجدت نفسها تعتذر في حرج، وتلجلج، "آآ... Sorry... أنا كنت أصلي"، وهي تشير إلى المسجد، كان صوتها منخفضا، ولكنه فهمها حينما أشارت على المسجد، هو حقا لا يهتم، ولكن يهتم بما قاله عليه شغله، "لا بأس يا فندم"، وهو يضع أمامها القائمة، استحيت أن تنظر بها ثانية، وطلبت طلبها الأول، ثم أدركت أنه ربما لم يكن تذكرها، ولكن بطلبها الأول بالتأكيد تذكرها، وضعت يدها على جبهتها توبخ نفسها، "ما هذا الغباء؟! ما هذا الذي أنا به؟!"، كانت تريد أن تترك المكان وتذهب، ولكن منعها إحراجها من تكرار الأمر، "ما هذه الأخلاق المبالغ فيها؟! أم أنني ممسوسة، يجب أن أرقي نفسي"، ولكنها وجدت نفسها لا تطيق وليس لديها صبر، وعزمت على أنها ستخصص لنفسها وقتا ترقي به نفسها كل يوم، فرحت من نفسها في شيء لم تكن تنتبه له من قبل، انها شخصية عازمة، "و يا ليتني أنفذ"، لكن شيئا جيدا، وناقدة، "وهذا الأسوأ".

انتظرت والدها يخرج إلى العمل لكنها لا تحب أن تذهب إلى المدرسة ثم فكرت أنها لا تزال به، ذهبت وقد نست أنها غير محملة بالكتب، "آه يا للهول"، وهي تحرك ذراعاها للأمام مع ثنية ظهر في إحباط، ثم قالت لا يهم، ودخلت، "السلام عليكم"، رآها مدرس العربي الذي تكره، "خذي يا بنت"، حركت لها رأسه، ثم ذهبت، فخرج ورآها، "ألم أقل لك خذي؟"، جرت منه وهي تضحك وتغيظه بتخريج لسانها له ووضع إبهاميها على صدغيها وتحريك باقي أصابعها، ثم شتمته شتيمة قذرة وجرت، وهي سعيدة، ثم خرجت خارجا من المدرسة نهائيا وهي تضحك، ثم تذكرت (ثائب)، "هكذا سيأخذ فكرة سيئة عني!"، حركت كتفيها في لامبالاة، "وهو لم يرني وأنا هكذا طيبة، ولا أهتم وان راني وأنا سيئة"، وهي تصرخ في الجملة الأخيرة وتضحك بصوت عال، والكل ينظر إليها، فرفعت لهم أصبعها الأوسط وهي تكشر، كما في الأفلام الأجنبية، "آوه ما هذا؟!! أهذا الشيطان؟! لندع الشيطان يحكم قليلا"، وهي تضحك ضحكتها التي لم تكن موجودة من قبل، لم تنتبه لما فعلته، هي فقط فعلته، وقررت أنها ستهرب قليلا من أهلها، "استريحي أنت يا (وحي) الآن"، وهي تضحك ضحكتها الشريرة كما تخيلتها من ضحكات، ولكنها خرجت منها عفوية بسبب شعورها، ثم فجأة... "آوه، لا... أخرجوني، أخرجوني من هنا أليس هذا جانبي الحقيقي؟! أخروني،

أخرجوني"، ظلت تمشي حولها تريد أن ترى مخرجا، "أخرجوني، أخرجوني"، ثم جلست باكية، حتى نامت، وظلت هكذا في المستشفى، وهم يرون قصتها للأطباء النفسيين الذي لا يعرفون عنها غير ذلك، لا يعرفون عنها غير نطقها لكلمة "أخرجوني"، ولا ترى أمامها وهي تمشي وتحرك رأسها، "أخرجوني، أخرجوني من هنا"، وأهلها يبكون عليها وهم يرونها هكذا في انهيار... وساعات تتشنج وترمي نفسها على الأرض في تشنج وغضب، "أخرجوني، أخرجوني"، بصراخ، وساعات أخرى تكون مبسوطة وسعيدة وكأنها حقا في عالم آخر، وتكلم أناس آخرون، "(تالين) و (أحمد) و (محمد) و (عبد الله) و (باحت)"، ويسألونها من التي باحت؟! أو بماذا باحت؟!. ظلت هكذا لا تعلم شيئا وهي ماشية في البحر حتى ظلت تنادي "أخرجوني، أخرجوني".